روائع المسرح العالمى

٣٢

القيثارة الحديدية

لقيارة العازف الفنلندى أوتار ثلاثة : البنزين يحمل الناسمين على النوم ،
والفضة تُضحكهم ، أما الحديد فيستدر دموعهم ويبكيهم ..

تأليف جوزيف أوكونور

ترجمة عزيز مترى عبد الملك

مراجعة فريد عبد الرحمن

تقديم دريني خشبة

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

هذه ترجمة كاملة لمسرحية :

THE IRON HARP.

by

JOSEPH O'CONOR.

المسرح الإيرلندى الحـــديث

ومسرحية

القيثارة الحـــديدية The Iron Harp

المأساة التى نقدم لترجمتها هنا مسرحية للكاتب والممثل الأيرلندى جوزيف أوكنور J. O'Conor المولود فى مدينة دبلن — عاصمة أيرلندا — فى سنة ١٩١٦ والذى سافر الى لندن قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ليحترف التمثيل بها ، ثم لم تلبث الحرب أن نشبت فانخرط جنديا فى صفوف الجيش البريطانى ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها عاد الى لندن ليعمل فى المسرح من جديد ، ولينبغ فى تمثيل الأدوار الدينية نبوغا كبيرا يجمع فيه بين الناحيتين المادية والروحية .. بجسمه الفارع وقسماته النفاذة وعينيه الصافيتين ولفتاته التى تشبه لفتات الأنبياء والقديسين .. ثم بروحه الرفافة الشفافة التى أهلته للقيام بدور السيد المسيح فى عرضين تمثيليين لمسرحيتين من مسرحيات الأسرار الدينية أو ما يسمونه بال Mystery Plays التى عرضت فى مدينة يورك الانجليزية فى عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٤ .

ولم يزل چوزيف أوكنور يرقى فى مدارج التمثيل والادارة المسرحية أيضا حتى وقع عليه الاختيار لرئاسة فرقة الأولد ڤيك The Old Vic بمدينة برستول .. وكان ذلك فى عامى ١٩٥٦ و ١٩٥٧ .

ولم يكتب چوزيف للمسرح الا فى سنة ١٩٥٥ .. وكانت مسرحيته التى نقدم لترجمتها هنا هى أول ما كتب .. وقد اختار لها موضوعا ، أو قل موقفا ، من مواقف حرب التحرير الأيرلندية التى اندلعت نيرانها فى الفترة نفسها التى اندلعت فيها نيران ثورتنا المصرية الأولى سنة ١٩١٩ وللسبب نفسه الذى اندلعت من أجله الثورة الأيرلندية ، والثورة الهندية أيضا — ثورتنا المصرية بزعامة سعد زغلول ، والثورة الأيرلندية بزعامة المستر دى ڤاليرا De Valera ، والثورة الهندية — أو حركة العصيان المدنى — بزعامة المهاتما غاندى . وقد كان السبب هو حنث انجلترا وخلفها لما وعدت به هذه البلاد من منحها حريتها ورد استقلالها المفقود بعد أن تنتهى الحرب العالمية الأولى اذا ساعدتها هذه البلاد فى الخروج منها ظافرة .. فلما انتهت الحرب .. وانتصرت انجلترا وحنثت فيما وعدت به تأججت نيران هذه الثورات كلها .. وقد كانت أيرلندا أول بلد حقق استقلاله بفضل حركة حزب السن فاين Sinn Feiners

بزعامة المستر دى ڤاليرا .. ذلك الحزب الذى أرق عيون الانجليز ، وجعل أيرلندا كلها ميدانا فسيحا متشعبا لحرب العصابات واغتيال الانجليز أينما وجدوا ، مستعملا معهم اللغة التى لا يفهم الانجليز لغة سواها .. ولم يقصر نشاطه على أيرلندا وحدها بل تعداها الى انجلترا نفسها ومدينة لندن بالذات . اذ قلبها جحيما على رءوس أهلها ..

هذا ولم يلجأ السن فاين بزعامة دى ڤاليرا الى ما لجأ اليه الهنود بزعامة غاندى الذى آثر المقاومة السلبية والعصيان المدنى ، مفضلا أن يقهر بطش الانجليز وصلفهم وجبروتهم بما رسمه من سياسة العصيان المدنى السلبى هذه .. وهى السياسة التى كلفت الهنود كثيرا وحملتهم من الآلام والمصائب ما لا طاقة للبشر به .. وكذلك لم يسلك سبيل المفاوضات غير المجدية التى سلكها زعماء مصر سنة ١٩ « بل آثر سياسة السيف والمدفع .. السيف الذى قال فيه أبو تمام انه أصدق انباء من الكتب ، لأن فى حده الحد بين الجد واللعب .

وقد حاولت انجلترا مقابلة هذه السياسة التى سلكها السن فاين بسياسة أشد منها عنفا وأكثر بطشا .. فأنشأت فرق البوليس الحربى المعروفة باسم الـ Black & Tans وهى الفرق التى بتردد ذكرها فى هذه المسرحية ، والتى كان

من خطتها قتل بعض الأيرلنديين الأبرياء مقابل كل انجليزى أيا كان عمله يقتله السن فاين ، أو يقتله الايرلنديون .. فقد كان أهل أيرلندا جميعا جنودا فى معركة التحرير . وقد استغل المؤلف هذا الاجـراء التعسفى فى مسرحيته التى سنتناولها بالتفصيل فيما بعد .. وقابل الأيرلنديون هذا الاجراء بالمثـل فكانوا يقتلون من أسراهم الانجليز بقدر من يقتل الانجليز من الأيرلنديين .. وهكذا استشرى القتل وعمت الأحقاد .. ولم يعد أحد من الجانبين يستطيع الاطمئنان على حياته .. وجن جنون الانجليز واشتد سعارهم بالصورة نفسها التى حدثت عندنا فى دنشواى ومجازر القاهرة ومنطا سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ حينما كانت شراذم جيش الاحتلال الانجليزى تحصد بمدافعها جماهير المتظاهرين فى المدن المصرية .. وهى الجماهير التى كانت تطالب بتحرير الوطن من براثن القراصنة .. وهو نفسه ما كان يحدث فى هذا التاريخ نفسه — وفى سنة ١٩٢٠ بالذات — فى مدينة كورك وما حولها .. حينما راح الانجليز المستعمرون يثأرون لقتيل أو قتيلين من جنود السود والتان المذكورين فيصوبون مدافعهم الى الأعـالى ويقتلونهم بالمئات ويدمرون بيوتهم ومواشيهم ومصانعهم ومزارعهم ، حتى قدرت الخسارة فى هذه الهجمة الجنونية وحدها بثلاثة ملايين من الجنيهات .. وهـو

ما أثبته واستبشعه الكاتب الانجليزى هـ . جـ . ولز H.G.Wells نفسه ، فى كتابه الرائع : خلاصة تاريخ العالم .

وبعد .. فهذا طرف من صراع أيرلندا فى سبيل استقلالها .. الصراع الذى اختار كاتبنا المسرحى الناشىء صورة منه ليجعلها موضوع مسرحيته هذه ، تلك المسرحية التى نرجىء الحديث عنها حتى نستعرض تاريخ المسرح الأيرلندى الحديث لنرى مكان هذه المسرحية من ذلك الصراع الرهيب .

وتاريخ المسرح الأيرلندى الحديث متصل اتصالا وثيقا بنهضة الأدب الأيرلندى الحديث .. تلك النهضة التى لم تبدأ بداءة جدية الا فى أوائل القرن العشرين أو أواخر القرن التاسع عشر ، حينما تضافرت مجهودات أديب أيرلندا الأول وليم بتلر ييتس W. B. Yeats (١٨٦٥ — ١٩٣٩) وليدى أوجستا جريجورى Lady. A. Gregory (١٨٥٢ — ١٩٣٢) وجورج مـــور G. Moore (١٨٥٢ — ١٩٣٣) وادوارد مارتن E. Martyn (١٨٥٩ — ١٩٢٣) وكونوا جماعتهم الأدبية ثم أنشأوا مسرحهم الأدبى الأيرلندى أو The Irish Literary Theater الذى تمخض عن فخـــر المسارح الأيرلندية كلها ألا وهو مسرح الأبى The Abbey Theater بمدينة دبلن ، والذى ساهمت فى انشائه مس آنى البزابث فردريكا هورنيمان

. (١٩٣٧ — ١٨٦٠) Miss Annie E. F. Horniman
وفى هذا المسرح ظهرت مسرحيات سين أوكاسى (١٨٨٤ — ٠)
الذى عنى بتصوير حياة العمال فى مآس تشبه الملاهى .

هـذا ولم يكن لأيرلندا من الأدب الحديث أو المسرح الحديث شىء يذكر قبل هذه النهضة .. وكل ما كان لهم قبلها بقايا من الأدب الكلتى الذى زحف الى أيرلندا من الشرق ثم استقر فيها .. وكان أجمل ما فى هذا الأدب هو تلك الملحمة المسماة تاين Tain التى تصف حياة قوم رعائيين يستعملون فى حروبهم العجلات الحربية التى نجد لها مثيلا فى الياذة هوميروس ، وكانوا يعلقون رؤوس قتلى أعدائهم فى عقود يجعلونها حول رقاب جيادهم التى تجرى كلاب الحرب بين أيديها .. باعثين بذلك الرعب فى قلوب من يجرؤ على الوقوف فى وجوههم .. أما المسرح فقد ثبت أنهم عرفوا المسرحيات الدينية بكل أنواعها .. والأيرلنديون كما هو مشهور كاثوليكيون مستمسكون بأصول مذهبهم ، ولعل هذا هو أهم ما جعلهم يحرصون على الانفصال عن انجلترا البروتستنتية.. الا أن هذه المسرحيات الدينية نفسها قد ضاعت فى زحمة النضال الدينى والسياسى بين البلدين ، وساعد على ضياعها اللسان المهجور الذى كتبت به .

على أننا نستطيع أن نستخلص السمات الأساسية التى اتسمت بها كل من النهضة الأدبية والنهضة المسرحية الأيرلندية من العرض السريع الذى نضعه بين يدى القارىء للحياة الأدبية التى عاشها كل من زعماء هذه النهضة ؛ أولئك الذين كنا نتمنى أن تظهر روائعهم المسرحية باللغة العربية قبل ظهور مسرحتنا هذه .. لما لهم من عظم الشأن فى هذه النهضة . ولأن منهم من يحتل فى المسرح العالمى مركزا رفيعا لا يدانيه بحال مركز « أوكنور » الذى لا يزال يفضل التمثيل والاخراج المسرحى على الكتابة للمسرح ، وان تكن مسرحيته الحالية تجمع الكثير من سمات المسرحية الأيرلندية وخصائصها .

فأول زعماء هذه النهضة هو كما أسلفنا الشاعر والكاتب المسرحى والسياسى الكبير وليم بتلرييتس ، والذى قدم لنهضة أيرلندا المسرحية خدمات مادية لم يكن يستطيع أن يؤديها اليها عشرات من الناس .. أما من الناحية الأدبية فالذى قام به — لا لأيرلندا فقط ، ولكن للانجليز أنفسهم وفى جميع أرجاء العالم — شىء عظيم جدا لم يكن يدور لأى انجليزى فى بال .. ذلك أنه أحيا المسرحية الانجليزية الشعرية من جديد بعد أن انصرف عنها الانجليز أنفسهم ، وأصبحوا يعدونها سخفا قديما لم يعد يتفق وروح العصر الحديث .. لقد نجح ييتس

فى احياء المسرحية الشعرية بأن جعل الشعر أيسر من النثر وأسرع منه أداء وألطف فى أسماع الناس وأوثق اتصالا بالمشاعر وأخف تدفقا فى الأرواح . والعجيب أن مسرحيات ييتس بالرغم من أن معظمها بالنظم قد كتبت للأداء المسرحى قبل أن تكتب للقراءة .. ذلك أن ييتس كان متمكنا من فنون المسرح ، خبيرا بما يسر الناس ويستهويهم وهم جلوس فى الصالة .. أضف الى هذا لغته السهلة الممتنعة وأسلوبه الرشيق . وعباراته التى تخف على الأسماع كما يخف النسيم العليل يهب من شواطىء الروح الكلتى العذب ، كما يقول هـ . س . كرانس H.S.Krans

لقد كان ييتس أول الثلاثة العظماء فى تاريخ النهضة المسرحية الأيرلندية الحديثة .. والاثنان الآخران هما ليدى جريجورى وادمند جون ملنجتن سينج E. J. M. Synge (١٨٧١ — ١٩٠٩) . وكان ثلاثتهم يتسمون بنزعة صوفية كانت أقوى فى ييتس منها فى صاحبيه الآخرين .. لكن ييتس كان أشعر من صاحبيه .. لقد كان شاعر النهضة وراهبها وصاحب أعلامها . انه لم يكن يهتم بتصوير المظاهر الخارجية للحياة الأيرلندية ، لكنه كان يهتم بالتعبير عن جوهر الفكر الأيرلندى ولباب المشاعر الأيرلندية .. لقد كان يمرح وهو يضحكنا على أحد الآفاقيين المتشردين ، ناسجا حوله اطارا من

قصة رومنسية خلابة ينتزعها من دنيا الأساطير .. الا أنه يجعل حشو هذه القصة رموزا ومجازات وفلسفات .. لكنها رموز ومجازات وفلسفات لا تخرج بصاحبها عن أفق الشعر الجميل .. حتى حينما يكتب نثرا .. لأن كل ما كان يقوله ييتس كان يرسله شعرا صافيا صادقا ، سواء كان هذا الشعر منثورا أو منظوما .. انه لم يكن يعرف الالتواء أو الالغاز الغامض الذى يحير السامع ويضل القارىء . لقد كان ييتس ، هو وصاحباه ، ينقلوننا من عالم الواقع الى ما وراءه من عوالم النفس الساذجة ، وما تضطرب به هذه العوالم من شطحات وأحلام .

لقد كان ييتس روح النهضة المسرحية الأيرلندية والقلب النابض الذى يحمل كل همومها .. لقد كان يبحث مخلصا عن كل من يتوسم فيه القدرة على بعث هذه النهضة والأخذ بيدها والسير بها فى سبيل النجاح ، فلا ينفك يشجعه ويغريه بالكتابة للمسرح ، فان لم يستطع الكتابة للمسرح أغراه بالكتابة التى تشد من أزر النهضة الأدبية فى أيرلندا وبالروح الكلتى الذى يميز الآداب الأيرلندية عن الأدب الانجليزى الذى أغرقه زعماؤه فى لجة غلابة من واقع الحياة الانجليزية ، تلك الحياة التى تحمل أثقالا فوق أثقال من دنيا الأعمال وأدران

المادة وشهوات السياسة وألاعيب السياسيين والنفاق الذى يسود المجتمع .. أى مجتمع .

لقد كان ييتس هو وأصحابه يهدفون الى « الثورة على المذهب الواقعى ، وتجريد الأدب الأيرلنـدى — والمسرح الأيرلندى بخاصة — للأغراض الأدبية الخالصة البعيدة عن الأفكار ومشكلات المجتمع وقضايا الحياة .. الأغراض التى لا تنشد أصلاحا ولا تهتم بنقد المجتمع أو التبشير بفلسفة اجتماعية خاصة .. وقد كان سينج يتحمس لهذا الاتجاه تحمسا شديدا بالغا ، ويحتج له بألا بد للمسرحية أن تكون عملا فنيا خالصا يسمو بالنفس البشرية ويعلو بها فوق أدران هـذه الحياة المملة المتعبة المكتظة بالآلام والمواجع .. تماما كما تفعل الموسيقى السيمفونية .. ومن أجل ذلك اتجه هؤلاء الكتاب نحو الأسطورة والأسـطورة الدينية أو الأساطير المناهضة لرسالات الأديان ، ونحو تصوير الروح الريفى الذى تزيده طبيعة الجزيرة الأيرلندية فتنة على فتنة وسحرا فوق سحر » [1].

لقـد راح ييتس ويده فى يد ليدى جريجورى وچورچ مور يبشرون بأدب أيرلندى خالص ، أدب بعيد عن حيـاة التكلف والأوضاع المصنوعة .. والتقاليد الجامدة التى يرزح

(١) عن كتاب : أشهر المذاهب المسرحية — المذهب الصوفى — منشورات وزارة الثقافة .

الناس تحت أعبائها .. لقد راحوا يصورون الحياة الطبيعية الساذجة التى يحياها الأيرلنديون السذج البسطاء .. وقد علّموا كتاب المسرح الجديد ايثار المواقف الخالية من التعقيد على الصنعة المسرحية المتقنة الصنع ، وتصوير الشخصية التى تجتاز أزمة من الأزمات على العقدة المسرحية المحبوكة التى ابتكرها سكريب ثم جرفت أوربا كلها بعد ذلك ، والرجوع الى مصادر الأشياء فى كنه الطبيعة لكى يصوروها فى جنة الفن .. لقد نادوا بأن يهتم الأدب بالفلاحين وأهل الريف الأيرلندى واللاصقين بالأرض الأيرلندية البدائيين الذين لا يخشون الكشف عن مكنونات صدورهم ، وأن يتكلم الأدب بنفس اللسان الذى يتكلم به هؤلاء البدائيون . وهم فى خلقهم هذا كله فى جنة الفن وظلاله الوارفة يختلفون عن كتاب المذهب الطبيعى الذين يعرضون هؤلاء البدائيين السذج ، ولكن فى بحر طام من القاذورات البشعة .

وقد جاء الجيشان الوطنى الذى عم البلاد بأسرها عاملا جديدا من عوامل البعث الأدبى ، وايقاظ الضمير القومى .. ولهذا لم تكن حياة الفلاحين الأيرلنديين وأهل الريف الأيرلندى وحدها هى مصدر الالهام للنهضة الجديدة فى دنيا الأدب ودنيا المسرح .. بل لجأ الكتاب الجدد أيضا الى بحر الأساطير

الأيرلندية الزاخر وتاريخ أيرلندا الحافل بالبطولات يغترفون منهما الأعاجيب فى عالم الشـــعر وفى ميدان القصة وميدان المسرح . وقد استطاع ييتس بمؤازرة چورچ مور اقناع الكتاب بتأليف المسرحية الأيرلندية الخالصة .. لأن مسرح دبلن الرسمى لم يكن يعرض الى ما قبل سنة ١٩٠١ الا المسرحيات الانجليزية التى ترد على دبلن من لندن ، بل لم يكن هذا المسرح يحيى موسمه كل عام الا بواسطة الفرق الانجليزية الزائرة .. فلما أنشأ ييتس وزملاؤه المذكورون فى صدر هذه المقدمة : جمعية المسرح الأيرلندى القومى كان انشاؤها أكبر حافز لاقبال الكتاب الأيرلنديين على كتابة المسرحية الأيرلندية الخالصة ، ومثلت بالفعل أول مسرحية من هذا النوع ، بل أول مسرحية باللغة الأيرلندية ، واسمها : « اثناءة الحبل The Twisting of the Rope » لمؤلفهـا دوجلاس هايـد ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠١ وعلى خشبة مسرح الأبى .

وعلى ذكر المستر دوجلاس هايد نقول : انه كان عضوا فى « جماعة المسرحية الغالية بدبلن : The Gaelic Drama League in Dublin » ، والمسرحية الغـالية هى فرع من المسرحية الأيرلندية . وقد كان لهذه الجماعة أفرع فى جالواى وفى كثير من الأقاليم الأيرلندية .

وقد أظهرت جمعية المسرح الأيرلندى القومى عددا كبيرا من نوابغ الكتاب المسرحيين فى مقدمتهم وليم بويل W. Boyle وت . مرى T. C. Murray ؛ ثم فخر المسرح الأيرلندى غير مدافع جون ملنجتن سينج .. ذلك الذى قابله ييتس صدفة يتسكع فى مشارب باريس فأقنعه بالسفر الى دبلن من فوره والانقطاع للكتابة المسرح القومى الأدبى (الذى أصبح مسرح الأبى كما قدمنا) فسافر سينج وقدم لهذا المسرح أبدع آياته .

وسينج يشترك مع ييتس وليدى جريجورى فى صورة المسرحية التى يرسم فيها حياة المزارعين الأيرلنديين المعاصرة وأحوال أهل الريف الأيرلندى .. غير أنه بلا شك فارس هذا الميدان وبطله المجلى ؛ كما أن ييتس هو بطل المسرحية المجازية الرمزية وفارسها المجلى .

أما ليدى جريجورى فأقرب الى دنيانا من الشاعر ييتس .. انها — كما يقول ف . و . تشاندلر F.W. Chandler [1] — تصنع شخصيات مسرحياتها من تلك الملاحظات التى تجمعها فى عناية ودراسة وبعد نظر عمن حولها من البشر . وهذه الشخصيات اذا بدت أحيانا أرواحا تتحرك بلا أجساد ولتكون

(١) فى كتابه Aspects of Modern Drama

مجرد بواعث للفعل الذى يجرى على خشبة المسرح الا أنها أرواح تتحرك أكثر ما تتحـرك طليقة حرة مستمدة حيـاتها مما نفخت المؤلفة فيها من روحها .. ومن هنا تختلف مسرحيات ليدى جريجورى من مسرحيات كل من ييتس وسينج .. ان مسرحيات ليدى جريجورى نتيجة ملاحظات فيها جهد وفيها عناء .. أما مسرحيات ييتس وسينج فثمرة شاعرية علوية والهام يتدفق من أغوار الروح .

أما لماذا بذ سينج كلا من ييتس وليدى جريجورى .. بل بذ جميع كتاب المسرح الأيرلندى .. فذلك أنه — كما يقول ف . و . تشاندلر أيضا — تعلم فى فرنسا « فن اخفاء الفن ! » لقد اكتشف فى مجموعة الجزائر الآرانية (فى مدخل خليج جالواى جنوبى غرب أيرلندا) كنزا من الذهب الخام الثمين لم يزل يحول تبره الى مسرحيات خلابة كتب لها الخلود . وسينج ليس من المفكرين ذوى الرسالة .. وليس مبشرا بمذهب جديد فى الحياة أو الاجتماع .. وهو يكفر بمسرحية الأفكار التى تزعمها مواطنه برنرد شو الذى هاجر الى انجلترا وأقام فيها ليسخر من أهلها « وليكتب لهم مسرحيات تمسخها الصـبغة الارشادية والرغبة فى التعليم والتهذيب » لقد كان يؤمن بأن المسرحية صنو السيمفونية وقرينتها « لا تعلمنا شيئا ولا تقيم

الدليل على شيء » وأن « الذين يتناولون مشكلات المجتمع في مسرحياتهم بالتحليل والتعليل ، محاولين وضع النظم للحياة من وجهة نظرهم هم ، سرعان ما تصبح آراؤهم شيئا قديما باليا قدم فارما كوبيا چالين ! .. شيئا قديما باليا ومستهلكا .. كما أصبح ابسن ومعلمو المسرح الألماني أشياء قديمة مستهلكة » .

ان الكاتب المسرحي الذي يعلم في مسرحياته ويهذب ويريد اصلاح المجتمع لا يلبث أن يصبح شيئا قديما في نظر الأجيال المستقبلة ، بل قد يصبح غير مفهوم عند هذه الأجيال ، لأنه انما كان يخاطب الجيل الذي يعيش فيه ، فاذا نجحت رسالته في هذا الجيل أصبح أثرا من الآثار بعد ذلك .. وهذا هو السر في خلود كتاب وشعراء من طراز شيكسبير وموليير وبن چونسون ممن كانوا يصورون دخائل النفس الانسانية ليرونا فيها أنفسنا وسخافاتنا .. لقد كانوا يفضحون الانسانية ولا يعلمونها شيئا . لقد قصر سينج نشاطه على تصوير أحوال الفلاحين وأهل القرى الأيرلندية ، وهو في عمله هذا كان يقف بمعزل منهم لينظر في تلك الأحوال نظرة الساخر الى تلك الحياة دون أن يكون له غرض ودون أن ينخدع بصورة غرارة مضللة .. ومن هنا احتفاله بالملهاة التي يقوم ببطولتها المشردون ومن لفظتهم الحياة ، ومن لا يعرفون الاستقرار في مكان بعينه ،

أو الطمأنينة فى موطن بذاته .. وهو ينجح فى بعث النبض فى حياة هؤلاء المشردين نجاحا كبيرا .. وهو يفعل ذلك فى فكاهة فاخرة ، وفى مقدرة الأديب الصناع الذى يحرك الأشجان فى نفوسنا كما يشاء ، وفى بلاغة الكاتب الذى لا يعييه التعبير .. التعبير المنثور الذى فيه من الشعر والشاعرية أضعاف ما فى منظومات أى شاعر حديث .

وهكذا تبرز المسرحية الأيرلندية الى الوجود بظهور ييتس وليدى جريجورى ، ولا سيما حينما ينضمان الى فرقة آل فاى Fay التمثيلية المشهورة (سنة ١٩٠١) .. عند ذلك يتكامل المسرح الأيرلندى العسيم بجميع فنونه .. تأليفا وتمثيلا واخراجا .

ثم تتعاون مع هؤلاء جميعا مس آنى اليزابث فردريكا هورنيمان . والتى اشتهرت فى تاريخ نهضة المسرحين الأيرلندى والانجليزى باسم مس هورنيمان .. والتى عملت فترة طويلة من حياتها سكرتيرة أدبية لوليم بتلر ييتس بالرغم من غناها الطائل وثروتها الكبيرة .. لقد كانت مس هورنيمان مجنونة غراما بالمسرح ، فلم تبال أن تنشىء فرقة ومسرح الأبى The Abbey Theatre بدبلن ، وأن تنفق على هذا المسرح ثلاثة عشر ألفاً من الجنيهات من حر مالها (ومس هورنيمان هى التى

اشترت مسرح الجايتى The Gaiety Theatre بمدينة منشستر وأعادت تأثيثه وكونت فيه فرقة لعرض المذخورات المسرحية الأيرلندى أو الـ Repertory الأيرلندى ، وان تكن قد أخرجت فيه نحوا من مائة مسرحية جديدة ، وكان من آثار عملها ذلك انتشار مسارح المذخورات فى انجلترا كلها ثم فى أوربا بعد ذلك) .

وقد استطاع مسرح الأبى بدبلن أن يستقل بماليته وفنونه ومسرحياته منذ سنة ١٩١٠ وان كان مع ذلك يتلقى من الحكومة اعانة رمزية لا تقدم ولا تؤخر ؛ وهو الآن من أشهر مسارح العالم ، وقد نال شهرته العالمية هذه بعد رحلة قام بها الى لندن سنة ١٩٠٣ ثم رحلات الى أمريكا قام بها سنة ١٩١١ .

هـذا فى أيرلندا الحرة التى استقلت عن انجلترا منـذ سنة ١٩٢٢ ؛ أما فى الجزء الشمالى الصغير منها والمسمى ألستر Ulster ، والذى بقى الى الآن جـزءا من بريطانيا ، فقـد استطاع مسرح ألستر The Ulster Theatre بمدينة بلفاست ، ولا سيما منذ سنة ١٩٠٤ ، أن يسهم فى تدعيم الحركة المسرحية الأيرلندية ، وبمساعدة ييتس وليدى جريجورى وادوارد مارتن أيضا . وقد اندمج هذا المسرح فى غيره من مسارح ألستر ، وتكونت منها جميعا الفرقة المعروفة باسم : مسرح فرقة ألستر

بلفاست The Ulster Group Theatre in Belfast .

* * *

وبعد .. فهذا عرض سريع لتاريخ المسرح ونهضة المسرحية الحديثة فى أيرلندا نخرج منه بالخلاصة الآتية :

١ — أن نهضة هذا المسرح لم تبدأ الا سنة ١٩٠١ بعد محاولات صادقة .

٢ — ان رواد هـذه النهضة تآزروا على خلق مسرح مستقل ومسرحيات ذات لون خاص مستقل عن المسرح الانجليزى بخاصة وعن المسرح العالمى بصفة عامة .

٣ — أن المسرحية الأيرلندية الحديثة يغلب عليها الفن الخالص أكثر مما تغلب عليها الرغبة فى أى اصلاح اجتماعى أو التبشير بأفكار جديدة أو اثارة مشكلات جديدة ، والمسرحيات الوطنية نفسها لم تتسم بروح الدعاية حتى فى عنفوان معركة التحرير .

٤ — أن من الممكن تقسيمها الى أنواع ثلاثة مختلفة هى (أ) : المسرحيات المجازية الرمزية الممتلئة بالفلسفة التجريدية . (ب) : المسرحيات التى تأخذ مادتها من

الفوكلور الأيرلندى ، وبالأحرى من الأساطير الشعبية الأيرلندية يعالج فيها كتابها موضوعات البطولة بروح جدى أو موضوعات التاريخ الحديث بروح ساخر ضاحك مرح . (جـ) : المسرحيات التى تصور حياة الفلاحين وأهل القرى تصويرا لطيفا لا ينحط الى طريقة كتاب المذهب الطبيعى .

٥ — أن كل هذه الأنواع ، سواء المنظوم منها أو المنثور، يتسم بصبغة شعرية جميلة تقضى عليها — بكل أسف — الترجمة الى اللغات الأخرى ، ولا سيما اذا كان المترجمون لا شأن لهم بالشعر .

٦ — أن كلا من زعماء هذه النهضة الثلاثة يتميز عن صاحبيه فى أحد هذه الأنواع وان شاركهما فى النوعين الآخرين .

٧ — أن ييتس هو خالق هذه النهضة ومعيد الحياة الى المسرحية الشعرية ، وأن سينج هو أشهى ثمراتها .

* * *

ونحن اذا طبقنا هذا كله على المسرحية التى بين أيدينا هنا وجدنا المسرحية تعكس معظم السمات البارزة التى تتسم بها المسرحية الأيرلندية الحديثة ، وأنها تبرز الروح المسيحى

بخاصة .. روح المحبة والايثار والوفاء بالعهد .. ثم هى تنفذ تعاليم السيد المسيح التى من أهمها أن يحب الانسان الناس جميعا .. وأن يحب عدوه كما يحب صديقه .. وأنها تنفذ هذه التعاليم ولا توحى بها ولا تحض عليها ابقاء على الناحية الفنية الخالصة .. لأن من أبرز سمات المسرحية الأيرلندية — كما قدمنا — البعد عن الدعاية لأى لون من ألوان الاصلاح أو التبشير بأية رسالة اجتماعية بقصد التهذيب أو الدعوة لمبدأ من المبادىء .. ومما لا شك فيه أن الأستاذ المؤلف — چوزيف أوكنور — كان متأثرا فى تصوير الروح المسيحى بهذه السوابق التى سبقت فى حياته حينما كان يقوم فى صدر شبابه بتمثيل الأدوار الهامة فى مسرحيات الأسرار الدينية التى اشترك فى تمثيلها ، و لاسيما تمثيله دور السيد المسيح نفسه فى مسرحيتين من أهم هذه المسرحيات .. وهذا مثار لمسألة بالغة الأهمية ، اذ كثيرا ما تساءل العلماء المشتغلون بعلم النفس المسرحى عما يكون للدور التمثيلى ، كبيرا كان هذا الدور أو صغيرا ، فى نفسية الممثل من تأثير .. وهل يمكن أن يغير هذا الدور من طبيعة الممثل وأخلاقه وسلوكه ، ولا سيما اذا تكرر الدور فى مسرحيات متشابهة يقوم الممثل فيها بأدوار متشابهة ؟ ان من واجبات الممثل البدائية والتى تعد ألف باء

فن التمثيل أن يتقمص الشخصية التى يمثلها وأن يندمج فيها اندماجا تاما غائرا حتى يشعر بمشاعرها وينبض قلبه بنبضات قلبها ، وحتى يتصرف كما كانت هذه الشخصية قمينة بأن تتصرف فى الحياة الحقيقية ، بشرط ألا يدع لعاطفته مجالا للسيطرة عليه حتى لا تفسد عليه تمثيله .. فاذا كان ذلك كذلك.. فما بالك بالممثل الذى يقوم بدور السيد المسيح .. ذلك الدور الروحى الذى يحل الممثل فيه محل تلك الشخصية العلوية المقدسة التى يجلها ويؤمن بها نصف سكان هذا الكوكب ، بل منهم من يرفعها فوق مرتبة الاجلال والايمان الى مرتبة العبادة ! ان هـذا دور رهيب يحمل من المسئوليات ما لا يحمله أى دور آخر .. انه الدور الذى يذكر من يجلون السيد المسيح والمؤمنين به ويرفعونه الى مراتب العبـادة بما كان السيد المسيح من طهر ونبل ومحبة وفداء ونقاء وسناء ووفاء وتحمل للآلام وتحرر من زخرف الحياة وانشغال بمهام الرسالة الكبرى عن مطالب اللحم وشهوات البدن .. ان الدور يذكر المتفرجين بهذا كله ، وما هو فوق هذا كله .. انه يذكر الانسان بالسماء والطمع فى خلود النعيم .. فى عليين .. ومن ثم وجب أن يكون من يقوم بتمثيله رجلا لا تشوب حياته شائبة .. رجلا حسن السمعة نقى السيرة طاهر السريرة .. والرجل الذى يكون من هذا القبيل

اذا قام بتمثيل هذا الدور وتقمصه حقا لم يستطع مطلقا أن ينساه ، ولم يستطع مطلقا أن ينسى أنه كان مسيحا ولو على خشبة المسرح .. ومن هنا هذا الروح الطهرى الرفيع الذى نلمسه فى تلك المسرحية التى كتبها نفس الرجل الذى مثل دور المسيح .. الروح الطهرى الذى ربما ألقى فى روعنا أنه محال فى محال .. لأننا ، ان لم نقطن الى ماضى المؤلف فى عالم المسرح ، يخيل الينا أن ما صوره لنا هذا المؤلف فى شخصية ميكل أوريوردن أولا ، ثم فى شخصية سين كللى ثانيا .. ثم أخيرا فى شخصية چون تريجارتن ... هو أضرب متشابهة من المحال ، بل العقم .. المحال الذى لا يخطر أبدا فى عقل عاقل .. ولا يدور الا للسخفاء فى بال .

واليك خلاصة المسرحية أولا لترى أننا كنا على حق فى تنبيهك الى هذه الملاحظة الضرورية التى يجب أن يلقى القارىء باله اليها حتى لا يحتار كما حرنا فى أمر هذه المسرحية وفى أمر تلك الشخصيات المذكورة بالذات .

✿ ✿ ✿

نحن فى قصر ريفى من قصور أيرلندا اشتراه رجل من رجال الأعمال الانجليز يدعى المستر پيتر توللى Peter Tolly ليقضى فيه أجازاته ، والعجيب أنه عهد بحراسة القصر وادارة

ممتلكاته فى أيرلندا الى ضابط أيرلندى أعمى يدعى ميكل أوريوردن M. O'Riordon فقد بصره منذ قريب . والظاهر أنه فقد بصره ذاك فى معركة التحرير التى كانت على أشدها فى زمن أحداث المسرحية ، أى فى غضون سنة ١٩٢٠ .. وها هو ذا مستر توللى صاحب القصر يستعد للفرار من قصره ذاك لأنه لم يجد فيه الراحة التى كان ينشدها .. بل على العكس كانت طلقات الرصاص تزعجه من حين الى حين ، وكان اذا سأل خادمه عن مصدرها قال له ان ثمة من يصيد الأرانب ، بدليل أن الطلقات كلها من عيار رصاص صيد الأرانب وليس من عيار رصاص صيد الانجليز (!) .

ونسمع الرجل وهو يعجب من أمر وكيله الأيرلندى الأعمى ميكل أوريوردن ، هذا الرجل الذى راح يتصرف فى القصر كأنه ملكه الخاص .. فقد ملأه بأصدقائه وأحبائه وأخذ يحتل من غرفه ما يشاء .. ويجعل منه ثكنة للجنود يعيثون فيه ويعبثون .. ثم نسمعه وهو يسأل أوريوردن عن هذا كله ، ويسأله عن هذا الكابتن الغامض جون تريجارتن Tregarthen الذى يدخل القصر ويخرج منه وفى صحبته تلك الفتاة الجميلة موللى كينسلا Molly Kinsella وعلى كاهله بندقية صيد الأرانب .

وهنا تدهشنا اجابة أوريوردن وتوقعنا فيما يشبه أن يكون اتهاما للمسرحية ، وغضا من قيمتها .. اننا نسمع أوريوردن يقول ان الكابتن چون هذا ان هو الا ضابط بريطانى وقع فى أسر جيش التحرير الأيرلندى ثم عهد به الى أوريوردن الضابط الأيرلندى الأعمى ليحافظ عليه .. فهو الآن أسيره .. ولما لم يكن فى وسع أوريوردن أن يحافظ عليه لأنه أعمى ، فقد اكتفى منه بكلمة شرف ألا يفر ، بل لا يحاول الفرار .. وقد أعطاه چون هذه الكلمة .. ولم يكن ثمة من الجنود الأيرلنديين من يمكن أن يبقى مع أوريوردن لحراسة چون .. لأنهم جميعا كانوا منهمكين فى المعركة ضد الانجليز (!) .. ثم لا يلبث أوريوردن أن يميل الى هذا الضابط چون بالرغم من أنه عدو بلاده وقد جاء مع الجيش الانجليزى ليحاربها ويقتل أبناءها .. ثم لا يلبث الميل أن يكون صداقة ، والصداقة أن تكون محبة واعزازا .. تماما كما أوصى السيد المسيح أتباعه بأن يحبوا حتى أعداءهم .. وياليت الأمر يقف عند هذا الحد .. ان موللى الفتاة الجميلة هى ابنة عم أوريوردن .. أى أنهـا أيرلندية .. وأوريوردن ينطوى لها على محبة قديمة وغرام مكين . والفتاة تدرك هذا كما ندركه نحن ... لكنها أحبت الضابط الانجليزى الأسير چون تريجارتن وهامت به . واذا شعر ابن عمها أوريوردن بهذا

تألم له ألما خفيفا لطيفا .. لكن أوريوردن فى هذه المسرحية هو صورة صادقة من المؤلف .. وبالأحرى من المحبة المسيحية بجميع ألوانها .. انه يحب ابنة عمه .. لكنه أعمى .. ويعرف أن فتاة عذراء جميلة مثل موللى لا يمكن أن تنسى قلبهاوتحب رجلا أعمى مهما كانت تميل اليه وتعجب به وتعطف عليه ، وهو لهذا يبارك هذا الحب بينها وبين چونى .. وهو يباركه متحسسا له حريصا عليه ، ما دام أن فيه سعادة موللى .. ثم سعادة غريمه .. بل صديقه وحبيبه چون .. الضابط الانجليزى الذى ما جاء الى أيرلندا الا لقتل أهلها وسلب حرياتهم .. ولعل هذا الموقف الجديد هو السر فى محافظة چون على كلمة الشرف التى بذلها لأوريوردن .. ولعله أيضا هو السر فى أن يترك أسير انجليزى فى حراسة ضابط أيرلندى أعمى وهو ينعم بكل هذه الحرية .. يحب ويحمل بندقية يدخل بها وبحبيبته ويخرج كما يشاء .. ويصيد الأرانب فى الريف المجاور كما يهوى ..

ويضطرب توللى صاحب القصر .. الرجل الانجليزى وصاحب الأعمال والذى يمثل الاستعمار فى المسرحية حين يرى نفسه أمام هذه الألغاز كلها ، ويصارح أوريوردن بأنه ، بوصفه انجليزيا — لا يمكن أن يوافق على هذا .. لا يمكن أن يرى ضابطا بريطانيا فى أسر جماعة من الأعداء .. وهو مع

ذاك يسكن قصره ، ثم لا يبلغ أولى الأمر فى لندن .. انه اذا تغاضى عن ذلك عد خائنا لبلاده . ولكن أوريوردن يطمئنه ساخرا .. انه يقول له : انه يستطيع أن يسقط المسئولية عن نفسه بتبليغ أولى الأمر فى لندن بالفعل .. وسيرى أن أولى الأمر لن يحركوا ساكنا الا أن يرسلوا بحالة جنودهم من لفظتهم سجونهم من المجرمين والأشقياء — مثل جنود البلاك والتان — ليجربوا دناءاتهم فى الأيرلنديين الذين يعرفون كيف يقتلونهم هم أيضا . ويشعر توللى بحرج مركزه بين هذه المآزق الكثيرة .. انه انجليزى يملك قصرا فى بلاد ثائرة .. وهو انجليزى وكل أيرلنديا أعمى من جنود جيش التحرير لادارة أملاكه فى أيرلندا .. وهو يرى ضابطا انجليزيا مخبولا يرضى أن يكون أسيرا لأيرلندى أعمى لا يملك من أمر هذا الضابط الانجليزى المبتسر القوى شيئا الا كلمة شرف بذلها له .. ثم هو يبدو بعد ذلك حرا طليقا لا يحاول الفرار من الأسر رغم الفرص الكثيرة التى تمكنه من ذلك . انتوللى يعتزم العودة الى لندن من فوره .. قبل أن يقتله الثوار .. أو قبل أن تغلبه كل هذه المفارقات التى تحيط به فيصبح هو أيضا جنديا من جنود جيش التحرير الأيرلندى .

ويخرج توللى ، ولا ندرى الى أين .. وتقبل موللى ..

ويدور بينها وبين ابن عمها أوريوردن حديث كله شعر وكله نفاثات صدرين مختلفين ، فنعلم أن أوريوردن كان رجلا أيام أن كانت موللى طفلة .. ثم اذا هو قد أصبح يحب الطفلة التى كبرت ونضجت .. لكنه بعد أن فقد بصره منذ ستة أشهر فقط أصبح يكتم أنفاس ذلك الحب ، ويفرح بما نشأ من حب بين ساحرته الصغيرة الناضجة وبين أسيره چونى الذى يدخل هو أيضا ويشترك فى الحديث .. ويقول بعد أن تذهب موللى لاعداد الشاى انه لم يكن يتصور قط أن تصبح حياة الأسر شيئا لذيذا سعيدا شائقا الى هذا الحد .. حياة الأسر التى تغيرت فجأة فأصبحت جنة وارفة الظلال طيبة المجتنى ! انه يضيق ذرعا بهذا الصدام الذى يشتد بين مواطنيه وبين الأيرلنديين .. وهو يعاهد الله ويعاهد الدنيا كلها على ألا يشترك فى تلك المجزرة التى يقوم بها جنود التاج والبلاك نيابة عن وطنه .. وهو يخلص فى هذا اخلاصا لا يثنيه عنه ما أعلنه الانجليز من أن الذى يقبض على أوريوردن الضابط الأيرلندى الأعمى أو على قائده الأيرلندى سين كللى S. Kelly فله مكافأة كبيرة تغنيه حياته كلها .

أما سين كللى — هذا القائد الأيرلندى من قواد جيش التحرير — فرجل عسكرى لا يعرف قلبه الانثناء ازاء ما تقتضيه

حرب التحرير من صرامة وجد .. ثم هو رئيس أوريوردن ، وهو يعرف ما تنطوى عليه أضالعه من الحب لموللى ابنة عمه .. لكنه يعرف أيضا ايثار أوريوردن وصداقته لچونى — أى چون تريجارتن — ويعرف أن أوريوردن لا يجبل ما بين موللى وچونى من غرام ، وأنه — أى أوريوردن — يبارك هـذا الغرام ولا يحقد على چونى بسببه ، بل هو يشجعه .. وهو — أى القائد الأيرلندى كالمى — فى حيرة أشد الحيرة من أمر هؤلاء المخبولين الثلاثة : چونى وموللى وأوريوردن .. أولئك الذين زرعوا جنة من الحب وسط هذه الجحيم التى أشعلتها حرب التحرير ، وراحوا يتعهدونها بالغناء والشعر ، ويملأونها بالأحلام الجميلة المعسولة ، والأخيلة المجنحة التى لا صلة لها بواقع هذه المعركة التحريرية المتأججة ، وبالنوايا الطيبة التى لا يعتل مطلقا أن تسود وسط بحر العداوات الطامى ، والذى يفصل بأمواجه وأثباجه بين انجلترا الاستعمارية البروتستنتية ، وبين أيرلندا المكافحة الكاثوليكية التى تناضل فى سبيل خلع نير العبودية الانجليزى .

ان موللى تحلم بحياة زوجية سعيدة تقضيها مع حبيبها چونى .. ولكن چونى معدود من أعداء معركة التحرير التى تخوضها بلاد موللى وتخوضها عشيرتها الأيرلندية وسط بحر

من الدماء والرصاص والعداوات .. وچونى أسير بالفعل .. وابن عمها أوريوردن — الأعمى — هو آسره والمؤتمن عليه .. ولكن ما قيمة هذا كله فى سبيل أن تحظى موللى بأمنيتها فى الزواج من چونى الذى أصبح لها كل شىء ، ولا سيما بعد أن كره موقف بلاده من أيرلندا .. اذن .. فلابد من فرار چونى وفرار موللى الى انجلترا نفسها ليكون چونى هناك بمأمن من جحيم حرب التحرير فى أيرلندا ، وليستطيع هناك أن يبرم عقدة الزواج من موللى فتتحقق بذلك سعادة قلبين ، وتكمل هنـاءة زوجين ، ما دام اتمام ذلك كله فى أيرلندا من رابع المستحيلات — أهونها الاستحالة المذهبية التى تقف لهـذا الزواج بالمرصاد .

واذن .. فليكن الفرار هو خطة موللى المقررة بغية تحقيق أمنيتها وسعادتها .

وبينما القائد الأيرلندى كللى يتحدث الى مرؤوسه وأحب الناس اليه والبقية الباقية له من دنيا الأصدقاء والأحباء بعد مقتل كل أصدقائه فى حرب التحرير . صديقه الحبيب الوفى أوريوردن .. بينما هما فى حديث عن هذه الحرب والألغاز التى تحيط بهما بسببها اذا أحد تابعى القائد يدخل ومعه أوامر من القيادة العليا تقضى باعتقاء ثلاثة من كبار الضباط الأسرى

فى يدى كللى ليعدموا رميا بالرصاص ثأرا لثلاثة من القتلى الايرلنديين ممن أعدمهم جنود التاج والبلاك المتوحشون بلا جريرة ومن غير أى ذنب .

ويحاول أوريوردن أن يثنى عزيمة كللى عن تنفيذ تلك الأوامر الوحشية .. وأن يراجع القيادة العليا فى شأنها .. ولكن بلا جدوى .. فقد قتل الانجليز كثيرا من الأيرلنديين بلا جريرة الا جريرة الدفاع عن بلادهم .. وكان فيمن قتلهم التاج والبلاك معظم أصدقاء كللى الأعزاء من الضباط وصف الضباط .. وهذه هى فرصة كللى فى الثأر من هؤلاء المتوحشين .. زد على ذلك أن الأوامر هى الأوامر .. وعلى هذا فليأمر كللى باجراء القرعة .. ولتقع هذه القرعة على اسمين لضابطين من ضباط الانجليز الأسرى .. ثم لتقع فى المرة الثالثة على : چون تريجارتن .. صديق أوريوردن الأعز ، وأسيره الوفى .. وحبيب موللى !

ويسقط فى يد أوريوردن .. وتظلم الدنيا فى عينيه !

* * *

وها هما ذان .. موللى وچونى .. اللذان لا يعلمان مما حدث فى نهاية الفصل الأول شيئا .. هاهما ذان يحلمان بالسعادة الزوجية فى ريف لندن .. وهما لذلك ينهلان من القبل عربونا

لتلك السعادة .. ويأسفان مع ذلك لأنهما لن يستطيعا اصطحاب أوريوردن معهما الى هناك .. لكى يكون عرابا لأول طفل لهما .. وهاهو ذا چونى يبدى أسفه على من أطلق عليهم الرصاص من الأيرلنديين .

يالها من لحظة شاعرية بين الحبيبين !

ولكن لنتركهما فى هـذا الحلم لحظة حتى يلقيا توللى صاحب القصر وأوريوردن الذى يعيش فى مناخه روحية لما تقرر من اعدام حبيبه وصديقه چونى بناء على تلك القرعة الباغية ..

ان موللى تخبر أوريوردن بما اعتزمته هى وچونى من الزواج .. ويهنئهما توللى صاحب القصر .. لكن أوريوردن يقف مبهوتا وكأن البكم قد عقد لسانه فلا ينبس ولا يقول شيئا .. وتكاد موللى تؤول ذلك بما تعرف أنه يطويه لها بين جوانحه من الحب وهى لا تعلم ما تنطوى عليه جوانحه الآن من غصة ولوعة !

ويطلب أوريوردن من مستر توللى صـاحب القصر أن يتفضل فيصحب موللى الى مكان ما لأنه يريد شيئا من الخلوة الى چونى .. فاذا خلا لهما الجو رأينا أوريوردن وهو يتوسل بكل ما يستطيعه من توسل أن يرحل چونى من ذلك المكان .. وأن يفـر بجلده من المـوت .. وأن يكون فى بلفاسـت

— عاصمة ألصتر بشمالى أيرلندا التى آثرت البقاء مع انجلترا — فى أسرع وقت .. فاذا ألح عليه چونى فى معرفة السبب ذكره له وقلبه يتفطر من اللوعة والأسى .. وهنا نرى چونى يأبى أن يفر .. لأن فراره ضار بأوريوردن ، اذ أنهم سيأخذونه به ، بالرغم مما يمكنه أن يحتج به من عماه وقلة حيلته وعجزه عن حراسته بسبب هذا العمى .

ويطول الجدل بين الصديقين ، ويصر چونى على عدم الهرب بالرغم من تذكير أوريوردن لچونى بسوللى وسعادتها ومستقبلها وأحلامها .

وتحدث فى هذه اللحظة كبسة مفاجئة من جنديين من جنود التان والبلاك الانجليز فيكادان يقتلان أوريوردن لولا أن ينقذه منهما چونى ، ويأسرهما ، وبهذا يكون چونى قد أصبح جنديا محاربا فى صفوف الأيرلنديين .. لكن كللى يدخل ، فاذا قال له أوريوردن ان چونى قد أنقد حياته من القتل سأله كللى عما اذا كان يجد نفسه أيرلنديا أجابه چونى أنه انما أنقذ حياة أوريوردن .. وهذا هو كل ما حدث .. اذن فليبق كل شىء على ما هو .. وليبق اسم چونى فى قائمة المقترع عليهم بالرمى بالرصاص .. بالرغم من انقاذه حياة أوريوردن ..

وتدخل موللى فاذا هى قد علمت ما كان من أمر هذه

القرعة ، واذا الفزع يتملكها ويسيطر عليها .. واذا هى تفزع الى أوريوردن فى أن يصنع المستحيل لانقاذ چونى .. فاذا قال لها ألا سبيل للنجاة الا الهرب ، وأن چونى يأبى أن يهرب .. طار صواب موللى ، وأقنعته بضرورة الهرب لا الى بلفاست فقط ، ولكن من أيرلندا كلها .

ويخضع چونى لمشيئة حبيبته ، وينفقان على طريقة هذا الهرب ، ان موللى ستركب القطار المسافر الى بلفاست ، وسترشو السائق الذى تعرفه لكى يهدىء من سرعة القطار عند المنعطف الفلانى حيث يكون چونى متربصا .. وسوف تصفر له ثلاث صفرات يقفز عند سماعها ويركب القطار .

* * *

ان أوريوردن وچونى يدبران خطة الفرار مع أحد الحراس المخلصين لأوريوردن والذين لا يعصون له أمرا .. وكان أوريوردن يعلم أن القائد كللى سوف ينفذ اعدام الأسرى الثلاثة ومنهم چونى ، عصر يوم الجمعة .. فلماذا يا ترى رجع قبل أن يتنفس الصبح من ذلك اليوم ، وفى اللحظة التى جلس فيها الصديقان مطمئنين وانهما [illegible] خطة هرب چون ؟

لقد كان كللى حدد عصر يوم الجمعة وهو يضمر صبحه لكى يوفر على صديقه أوريوردن هول ذلك الموقف الذى يرى

فيه چونى وهو مسوق الى الموت .. أما الآن فقد فشلت المفاجأة التى كان ينتويها كللى الذى يأمر أحد جنوده بالخروج بچونى ليكتب وصيته وليلقى القسيس البروتستنتى اذا شاء .

ثم تدور بين كللى وبين أوريوردن محاورة طويلة لعلها أمتع ما فى المسرحية كلها .. فهذا أوريوردن يستنكر تلك اللعبة التى أراد كللى أن يلعبها عليه بقتل چونى قبل الموعد الذى ضربه لذلك .. ثم هو يضرع اليه فى أن يعمل على نجاة چونى الذى أنقذ أوريوردن نفسه فهو يستحق النجاة .. ثم يذكره بأن موللى تنتظر لهفانة أن تتزوج من چونى ، حاملة أثقالا من الحب والأمل ... وأن هذا الزواج مرجو أن يثمر أجيالا وأجيالا من الأبناء والحفدة .. فكيف يرضى كللى أن يقضى على كل هذا الحب وذاك الأمل ، وجميع تلك الأجيال من الأبناء والحفدة .. وكيف ينسى أن والد چونى ينتظره فى انجلترا .. قريبا من لندن .. ليعود اليه وليملأ بيته سعادة ، وليتزوج ، وليصل ذريته ، وليكون له قرة عين .

ويجيبه كللى وهو أسوا[illegible]مهن بأنها الحرب .. وأن أوريوردن قد اشترك ر[illegible]يرة مع كللى .. وأنه كان يراه وهو يصوب بندقيته أو مدفعه الى صدور الأعداء ليقتلهم .. غير ذاكر أنهم آمال آباء وأمهات وأبناء فيرديهم

فى غمضة عين ، وأنه كان يفعل ذلك مأمورا كما أن هؤلاء القتلى كانوا يسعون الى حتوفهم مأمورين .

ولكن أوريوردن يمضى فى توسله .. ضارعا الى كللى أن يفرض أنه جاء متأخرا نصف ساعة .. نصف ساعة فقط .. لأن چونى كان على وشك أن يهرب قبل مضى دقائق قليلة .. انه يرجوه أن يهبه حياة صديقه وسعادة موللى .. ويقول ان هذه هى أعظم أمانيه فى الحياة بعد أن فقد بصره .. وفقد موللى بفقد بصره !

أعظم أمانيه أن يعيش چونى ليتزوج موللى .. فهذا يعدل عند أوريوردن ارتداد بصره اليه !

ويحاول كللى أن يصارح أوريوردن بأنه انما يريد الخير له بازاحة چونى من طريقه بفضل تلك القرعة التى شاءت بقضاء وقدر أن يأتى اسمه ثالث الأسماء التى أمرت القيادة العليا بقتلهم ثأرا للقتلى الأيرلنديين .. وهو يحاول أن يفهم أوريوردن بأن هذا الايثار الذى تعوده ، ونسيان نفسه اذا ذكرت مصلحته ومصلحة الناس ، هما من المثل العليا التى تنبع من الظلام الذى ذهب بنور عينيه والذى يعيش فيه .

ويكاد أوريوردن أن يجن عندما يقول له كللى ذلك — ان الجدل قد طال ، والوقت يمضى .. وچونى المسكين

فى الخارج يكتب وصيته .. ومولى منتظرة عند المنعطف المتفق عليه بقلب عامر بالآمال .. فماذا يكون شـأنها اذا أرسلت الصفارات الثلاث ولم يثب چونى الى القطار .

ولكن كللى يظل عنـد موقفه من التصميم على قتـل چونى .. ولا تجدى ضراعات أوريوردن قتيلا .. فيثور به وينقم عليه ، ويقسم لو أن له عينين تريان لأفرغ رصاص بندقيته فى صدر كللى .. هذا الصدر الذى خلا من الرحمة ، وأقفر من الحنان ، ولينقذ بذلك چونى .. وينقذ سـعادة حبيبين وأجيالا مرجوة من الأبناء والحفدة .

وهنا .. يعبس كللى ويكاد يبكى وينفطر ، ويتناول مسدسه ويتقـدم به نحو صديقه أوريوردن .. ثم يعطيه المسدس ، ويصوب فوهته نحو رأسه ويرجوه أن يفرغ الرصاص فيه .. لأن موت كللى وحـده هو السبيل الى نجاة چونى وفراره وضمان سعادته وسعادة موللى وسعادة أوريوردن .. أما أن يخيس كللى بعهده ، ويحنث بيمينه التى أقسمها على الوفاء لجيشه ولبلاده .. فلا .

* * *

ويدخل چونى الذى كتب وصيته ومن ورائه حارسه .. فيعهد بمذكراته الى أوريوردن لكى يسلمها الى ...

الى من ؟.. الى موللى طبعا .

ويشكر چونى لأوريوردن ما أتاحه له من سعادة .. ولكن أوريوردن يبكى محطما .. ويقول له انه حاول جهـده .. ولكن .. بلا نتيجة .

ويقود الحارس چونى الى الخارج ..

وهنا يسمع صوت القطار .. وبعد قليل تسمع الصفرات الثلاث ..

ولكنا نسمع أيضا الصوت الآمر باطلاق الرصاص !

* * *

والآن وقد قدمنا لك هذه الخلاصة الخاطفة لتلك المأساة الحزينة .. المأساة المحيرة التى كتبت للتمثيل ولم تكتب للقراءة ، شأن جميع المسرحيات الأيرلندية الحديثة بجميع ألوانها .. هل رأيت كيف أنها تحمل جميع ممزات المسرحية الأيرلندية التى لا تهتم بالموضوع بقدر اهتمامها برسم صورة لموقف وبقدر رسمها لشخصيات عجيبة توقعك فى الحيرة التى ربما جعلتك تتهم الكاتب بالفجاجة والتميع وعدم اجادته حبكة موضوعه — ان كان ثمة موضوع على الاطلاق !

لقد أخذ الكاتب هذه الصورة من صور حرب التحرير الأيرلندية ، وقد كنا نتوقع أن يهز أعصابنا بأمجاد هذه الحرب

فيعطينا درسا فى الوطنية ، ويقدم الينا صورة من صور المغامرة التى تحمل الينا عظة حية تنفعنا بوصفنا شركاء الأيرلنديين فى مكافحة هذا الاستعمار الانجليزى الذى أرانا من مرارة العيش ألوانا .. فهل فعل الكاتب شيئا من ذلك ؟ .. أبدا .. ونقول أبدا لأن من أهم ما تتسم به المسرحية الأيرلندية الحديثة أن تتنزه عن الصبغة الارشادية وألا تتسم بأية سمة من سمات الدعاية .. فالكاتب المسرحى الأيرلندى .. أو معظم الكتاب الأيرلنديين انما يكتبون للفن الخالص ، وهم يكرهون مسرحيات الأفكار والمشكلات الاجتماعية لهذا السبب .. أما هذه الصبغة المسيحية .. أو الروح المسيحى .. روح الايثار والمحبة الذى يشيع فى المسرحية كلها فأثر من نفس الكاتب بلا شك .. الكاتب الذى تأثر تأثرا عميقا بتمثيل شخصية السيد المسيح كما قدمنا .

وقد يتبادر الى أذهان بعضنا أن چوزيف أوكنور لم يسلم فى مسرحيته هذه من هدف كان يسعى اليه .. هو الدعاية الى وجوب تقريب شقة الخلف بين الانجليز وبين الأيرلنديين بهذه المحبة التى عقد أواصرها بين چونى الانجليزى وبين أوريوردن الأيرلندى .. ثم بهذا الغرام الذى أشعل ناره فى قلب موللى الأيرلندية وجوانج چونى الانجليزى .. ثم بتحاشيه أن يمس

مستر توللى الانجليزى وصاحب القصر الأيرلندى بأذى .. ثم بعبارات السلام وأغانى المحبة البشرية التى أرسلها مرارا على لسان أوريوردن ، وقد يقوى هذا الزعم أن المسرحية مثلت فى انجلترا قبل أن تمثل فى أيرلندا .. أى أن الكاتب الأيرلندى كان يكتب لجمهور من الانجليز .. ولهذا كان لزاما عليه أن يراعى ذلك .. وأن يذكر أن الشعب الانجليزى كله يحبه ويقدر شخصه من يوم أن مثل له شخصية السيد المسيح .

هذا رأى لا يستقيم واصرار كللى على اعدام چونى فى آخر المسرحية .. ثم تنفيذ هذا الاعدام .

ان المسرحية تفيض بالرموز والمجازات والاشارات الغامضة ، وبها مسحة من التصوف الذى تشتهر به كثرة من المسرحيات الأيرلندية ، ثم هى كمعظم هذه المسرحيات روضة من الشعر المنثور وألوان البطولة التى ينتصر فيها الأبطال على أنفسهم .

انها بارقة أمل على أن من الكتاب الأيرلنديين من يستطيع أن يخلف ييتس وليدى جريجورى وسينج وسين أوكاسى .. أولئك الذين نرجو أن تترجم مسرحياتهم أو بعض مسرحياتهم فى القريب العاجل .

وبالمسرحية طائفة من الأغانى التى يتغناها أوريوردن .. أغان اقتبسها المؤلف من ييتس وتشسترتون وپادريك كولم

P. Colum كنا نفضل لو ترجمت الى شعر عربى غنائى لأن ترجمة الشعر الأجنبى الغنائى الى نثر عربى لا جدوى منها حينما تقدم المسرحية الى الجمهور العربى على خشبة المسرح .. والقول بامكان حذف هذه الأغانى عندما تمثل المسرحية قول مردود لأن هذا الحذف يفقد المسرحية روحها بل طابعها الذى تتميز به المسرحيات الأيرلندية .. فالمسرحية لا تقدم موضوعا بل تصور موقفا مشحونا بجو من الفداء والموسيقى الروحية والشعر المتعدد الألوان ، ومن هنا هذا البطء .. أو ذاك التفكك الذى يحس به القارىء أحيانا والذى يتلاشى فوق خشبه المسرح ، وهذه ملاحظة مهمة أحببنا أن نلفت اليها نظر القارىء حتى يحين حين تمثيل المسرحية ، حتى لا يتهم المسرحية بالتفاهة مثلا أو بشطط المؤلف أحيانا أو بما يشبه الخروج عن الموضوع أو الشرود أو عدم تماسك الاطار المسرحى .

وقد يقول البعض بامكان التغنى بهذه الأغانى منثورة .. وهذه تجربة أثبتت السوابق أنها تجربة ساقطة لأنها تصيب الجو الفنى للمسرحية بالنشوز وتثير السخط والاستهزاء فى نفوس المتفرجين .

درينى خشبة

شخصيات المسرحيـــة

بيتر توللى Peter Tolly : انجليزى له أملاك فى أيرلندا

شاموس Shamus : تابعه

ميكل أوريوردن M. O'Riordon : موظف لدى بيتر توللى
وضابط فى جيش المقاومة الأيرلندى

موللى كنزيللا Molly Kinsella : ابنة عم ميكل

كابتن جون تريجارثن J. Tregarthen: ضابط فى الجيش البريطانى
وأسير تحت حراسة ميكل

سين كللى* Sean Kelly : ضابط عظيم فى جيش المقاومة الأيرلندى

سكانلون Scanlon : مساعده

الجندى الأول من جنود التاج

الجندى الثانى من جنود التاج

ديرموت Dermot : حارس فى جيش المقاومة الأيرلندى

فيليم Phelim : حارس فى جيش المقاومة الأيرلندى

المنظـــر

قاعة الجلوس فى قصر ريفى ايرلندى يملكه پيتر توللى الأنجليزى

الزمن

ابريل سنة ١٩٢٠

الفصل الأول : الصباح

الفصل الثانى : عصر اليوم نفسه

الفصل الثالث : صباح اليوم التالى الساعة الخامسة والنصف تقريبا

الفصل الأول

قاعة الجلوس فى قصر ريفى أيرلندى يملكه انجليزى اسمه بيتر توللى الذى ورث ثروة عن مهندس للشئون الصحية . تبدو على القاعة مظاهر العظمة الدارسة . فالشمعدانات الفضية والمسارح القديمة والزجاج النفيس . كلها فى حاجة الى الاصلاح . يؤدى باب الى طريق المركبات والأرض المحيطة بالقصر . يبدو السلم ظاهراً للعيان . تغطى النوافذ الطويلة الستائر السميكة ولهذا يبدو المسرح معتما رغم أن ضوء النهار قد بدأ ينفذ اليه .

(فى محدع مرتفع ليس على مرأى من السلم يجلس ميكل أوريوردن وجهه بعيدا عن جمهور النظارة وقد أصابه العمى منذ عهد قريب . يسمع عن بعد قطار يصفر ثلاث مرات .)

توللى : (نازلا السلم) قلت لك ذلك . ها قد وصل القطار .

شاموس : لا تكن قلقا الآن . ألم أخبر « تيم » فى المحطة بأنك قادم ؟ سوف ينتظر . وحتى لو لم أخبره فستجده يروى القصص والأساطير مع سائق القطار « دان » لمدة ساعة من الآن .

توللى : حـــنا ، فلنسرع ، اذا سمحت . يجب على أن أكون فى لندن غدا .

شاموس : (وهـو يتحـرك بمنتهى البطء) الوقت كاف يا سيدى ، أمامنا متسع من الوقت فالحياة كما تعلم ، يجب أن نقضيها كما لو كانت رقصـة بطيئة . هذه هى الطقوس المرعية والأصـول المتبعة ، فانك لن تتوقع من الآب « أسيليقان » أن يسرع فى تسلق درجات السلم حتى يصل الى المذبح ، أليس كذلك ؟ (يلقى بالحقائب فجـأة الى أسفل السـلم ويستدير ليصـعد درجات السلم) ولنفرض الآن أن هذه الدرجات التى تراها هنا هى التى تؤدى الى المذبح ؛ فعليـك أن تستدير ببطء وأن ترفع قدمك بعناية وفق الطقوس الدينية كما لو كنت عملاقا يعبر جسرا مرتفعا .

توللى : أرجو أن تستخدم خيالك بأى طريقة أخـرى تضمن لك السرعة . والحقيقـــة انك لم ترفع الستائر بعد مع أن الساعة قد جاوزت العاشرة ، ففى أى شىء كنت تشغل نفسك حتى الآن ؟

شاموس : حسنا يا سيدى لقد استيقظت فى الساعة السادسة والنصف ، فى الوقت الذى بدأت فيه أشعة الشمس تنفذ خلال الستائر ، ثم توجهت أولا الى ...

تولى : حسنا ، حسنا ، يؤسفنى أنى سألتك ! سأفتح الستائر بنفسى (يفتح الستائر) سيظن الناس أن أحدا قد مات . (تستمع للفتان من بعيد) آه ، يا للسماء ، أرجو ألا تكون هناك متاعب جديدة .

شاموس : لو أنك أصغيت فى تمهل بكلتا أذنيك لأدركت أنه لا يمكن أن تكون هناك متاعب . انها مجرد بندقية صغيرة من عيار اثنين وعشرين لصيد الأرانب وليست بندقية كبيرة من عيار ثلاثمائة وثلاثة لصيد الأنجليز — ان الله يحبك يا سيدى ، لقد نسيت انك أنت نفسك انجليزى . ولكن ، ليس هناك الآن سوء نية أبدا .

تولى : من أجل الهدوء والسلام وحدهما اشتريت هذا المنزل وهنا أنت الآن لا يمكنك أن تطل برأسك

من أحد النوافذ دون أن يطلق عليك الرصاص .

شاموس : ان الأرانب وحـــدها هى التى فى خطر الآن يا سيدى ولهـذا فأنت فى أمـان (بسرعة) لا عجب أن يكون هذا هو « الكابتن » جونى الشاب ومعـه الآنسـة « مـوللى » ، فكثيرا ما يخرجان معا للصيد هذه الأيام .

توللى : أرجو أن يتفضـل أحـدكم فيخبرنى قبل أن أرحل ، من يكون هذا « الكابتن » جونى وما الذى يفعله هنا ، لقد عدت لقضـاء بضعة أيام فوجدت بيتى يغزوه الأهالى ببنادقهم وهـــذا « الكابتن » الغريب الضابط بالجيش البريطانى يقضى وقته فى صيد الأرانب . انى لا أفهم كل هذا .

شاموس : آه ، ان كلمة « أهالى » لكلمة فظيعة تحط من القدر عندما تطلقها على الرجل الأيرلندى .

توللى : كلنا أهالى ، أولاد بلد ، وهذه ضريبة على كل من يولد .

شاموس : هل هذا ما قصدت ؟ ولكن ألم يقل لك المستر « ميكل » شيئا عن الكابتن « جونى » ؟

تواللى : انى لم أتبادل مع أوريوردن كلمتين اثنتين منذ أن جئت ، انه ليس هنـــا باستمرار . لقـد استخدمت الرجـــل ليدير لى أملاكى فاذا به يتصرف كما لو كان البيت ملكا خاصا له ويخيل الى ان من يثيرون الفوضى والضجيج فى طرقات القصر هم أصدقاؤه . ترى أين هو الآن ؟ يجب أن أتحدث اليه قبل أن أذهب .

أوريوردن : (من المقعد ذى المسندين) بالله عليك ، هـل أنت أعمى مثلى ؟

تواللى : أوه يا عزيزى لقد أفزعتنى . حسنا ، انك هنا على أية حال . شـاموس أين مِلك والعربة ؟ يمكنك وضع هذه الحقائب على ظهر العربة .

شاموس : ان مِلك مريض ، سأذهب لأعد العربة بنفسى .

تواللى : مريض ! والعربة لم تعد بعد ! اذن فلن نلحق هذا القطار

شاموس : بل سنلحقه يا سيدى ، لعلهم يلعبون «البوكر» فى المحطة الآن

(يخرج)

تواللى : حسنا ، يا أوريوردن ... ؟

اوريوردن : حسنا ، أيها العزيز توللى ؛

توللى : انى لأرجو قبل أن أسافر أن أحظى منك ببعض الايضاحات .

اوريوردن : عن أى شىء ؟

توللى : عن السبب الذى من أجله قد قلبت بيتى هذا الى ثكنة للجنود ؛ ومن هم هؤلاء الرجال الذين يدخلون ممتلكاتى ويخرجون منها ، ومن هو هذا الكابتن الانجليزى الغامض ؟ هل آمل فى أن تلقى بعض الضوء على كل ذلك ؟

اوريوردن : أترجو منى أن ألقى بعض الضوء ؟ انك لتطلب منى الشىء الكثير ، ولكنى سأجيب على أسئلتك . فأولا ان الكابتن جون تريجارثن ضابط فى الجيش البريطانى وهو أسيرى .

توللى : أسيرك ... ؟

أوريوردن : لقد أسر قرب دبلن منذ ثلاثة شهور وأرسل الى هنا ليبقى فى حراستى ؛ ولأسباب يجب أن تكون واضحة ، حتى لك ، ان أستطيع مراقبته، كما أنه ليس لدينا فائض من الرجال لنقيمهم على حراسته . ولذلك أبقيته أسير كلمة شرف

منه بألا يهرب ، وها هو فى هذه اللحظة يتمطاد الأرانب .

توللى : أوه ، لقد فهمت .

أوريوردن : يا لك من محظوظ !

توللى : ولكن هناك حقيقة واحدة يظهر أنها قد فاتتك يا أوريوردن .. ان هذا بيتى وأنت فى خدمتى وأنا الذى أدفع لك أجرك ، ولذلك فأنا وحدى الذى أقرر من يأتى الى هنا ومن لا يأتى ، وأكثر من ذلك فأنا رجل انجليزى ولن أسمح بأن يبقى ضابط فى الجيش البريطانى فى الأسر هنـا . انهم لو علموا بذلك فى لندن لألقوا القبض على ... وربمـا اعتبرونى خائنـا . لم لا تفكر فى الآخرين كنوع من التغيير ؟

أوريوردن : كف عن التحدث الى نفسك يا ولدى توللى ، وفى مقدورك أن تخبر رجال الشرطة فى لنـدن — ان أردت — أن الجيش الأيرلنـدى قد استولى على بيتك ، فمـا أظن أنهم سيعيرونك أى اهتمام . وفى مقـدورك أن تخبر الكابتن تريجارثن — اذا كان ذلك يهمك — أنه حر فى أن يذهب حيث يشاء ، فلست أظن انه سـوف

يعيرك أدنى اهتمـام ، وهأنذا الآن لا أعيرك أى اهتمام أيضـا . انه عالم قليل الاكتراث يا توللى وهذه حقيقة لا كذب فيها

توللى : انى صابر جدا حتى الآن

أوريوردن : انك توللى الصبور ...

توللى : لا يمكن لأحد أن يقول انى لم أكن صبورا ، أيمكنك أنت ؟ ولكن ذلك يجب أن يقف عند حد . لست بسياسى انما أنا مجرد رجل أعمال ، ولقـد أغمضت عينى على الشىء الكثير وكنت أتوقـع منك ، على الأقل ، أن تكون مؤدبا . ويظهر أنك نسيت أننى قادر على أن أطردك ، ويجب عليك ألا تظن أنه لمجرد أنك ...

أوريوردن : كفى ، كفى ولا تلق بدريهمات شفقتك فى قبعة الرجل الأعمى ، فأنت لم تستبقنى لأنك ترثى لحالى وانما استبقيتنى لأنى أقوم بالعمل هنـا من أجلك على الوجه الأكمـل . انى أدير لك مزرعتك الصغيرة بكفاءة تامة وأوفر لك فيهـا الراحة والهناءة لتهرع اليها وتقضى فيها وقتـا

هادئا كلما سئمت نفسك بيع أوانى الغسيل لبلاد العالم .

توللى : لا داعى للاستهزاء فعملى ضرورى جدا .

اوريوردن : أجل ، أجل فأنت شخص تهتم بالشئون الصحية وليس من أحد ينكر ذلك بل وربما كان هذا هو سبب ما تشعر به من أن مقامك ليس هنا بيننا . هل تدرى ما يجرى الآن فى ايرلندا ؟ ان حكومتك الكريمة قد أرسلت الى هنا حثالة مساجينكم مدججين بالسلاح ليفتكوا بالايرلنديين أمثالى . ألم تسمع أبدا عن جنود التاج والبلاك ؟ أم لعل الصحف الانجليزية قد خجلت من أن تذكر شيئا عنهم ؟ انهم هم السادة الذين أوقعوا بفرقتى فى كمين منذ ستة شهور مضت ومنذ ذلك الحين لم يعد يهمنى أى اتجاه أواجه فى غرفتى حيث أصبحت لا أجد لى منفذا فى أى مكان . لهذا أستميحك العذر ياولدى توللى ان أنا لم أظهر أى عطف عندما اعترضت على وجود أصدقائى هنا ، انى أعرف انه بيتك ولكنه أيضا مقر مريح للقيادة ولهذا سنبقى هنا

تولى : ولكن الى متى سيستمر ذلك ؟ يجب أن تدرك مافى هذا من احراج لى انى لأعطف بالطبع على...

أوريوردن : حسنا ، أشكر لك هذا العطف ، وأظن أن ذلك سيستمر حتى تصبح أيرلندا مستقلة وحينئذ فالله وحده يعلم ما نحن فاعلون بأنفسنا ! واذا كان يسعدك ذلك فأنى أؤكد لك أن المسئولين البريطانيين الذين قابلتهم ليشعرون بنفس السخط على جنود التان كما نشعر نحن ، وها هو الكابتن جونى يبتسق على الأرض كلما ذكر اسمهم أمامه .

تولى : حسنا ، انى لا أفهم ذلك ، وأكثر من هذا ، انى لا أحاول أن أفهم ، ولا يمكننى الانتظار حتى أعود الى لندن . كم أنا آسف لأنى أتيت .

أوريوردن : لا تصدق نفسك يا رجل ، فأنك عندما تعود ثانية الى لندن سوف تفخر بالفترة التى قضيتها هنا (تسمع طلقة من بعيد) لا تقلق ، انها الأرانب . أنظر من النافذة الآن وأخبرنى ان كنت ترى رجلا ضخما فى الطرقة الخارجية يتحدث الى صبى ذى شعر أسود

توللى : (ناظرا من النافذة) أجل كلاهما هناك .

اوريوردن : حسنا . ان الرجل الضخم هو سين كللى . انه وصل الآن فقط . لقـــد حارب الألمان فى منز Mons حيث جرح وسرح من الجيش ، ثم جاء الى دبلن وقاتل معى ضد الانجليز فى ثورة عيد الفصح سنة ١٩١٦ ، وقد حكم عليه بالاعدام ولكنه أنقذ ليعود ثانية كى يحارب فى فرنسا ثم انتهى به الأمر الى القتـــال مـع الجيش البريطانى ضد الروس . وها هـو الآن قد عاد ثانية الى أيرلندا . انه من أعظم الجنود وأغناهم بل هو نسر نادر الوجود . وعندما يتقدم بك العمر يا توللى يا ولدى ، ويلتف حولك الأحفاد -- ان أسعدك الحظ وكان لك أحفاد، يتجمعون حـول ركبتيك — ستجد فى رأسك الجلدية العجوز ذكريات ذهبية ، ويمكنك أن تتحدث اليهم قائلا : أيها الأحفـاد لقد نزل سين كللى نفسه فى قصرى الريفى فى أيرلندا وسيتحدث الأحفاد قائلين : « ان جدنا قد لا يبدو ذا أهمية الآن ولكنه ، وحق الله ، كان فى صباه يصاحب الشجعان ! »

توللى : كلا ، فلن يحسبنى أحد بطلا حتى أحفادى . ولكى أثبت لك صحة نظريتى ، ها أنا أغادر أيرلندا على عجل ، وأشكر الله لأنى لست بعيدا عن الحدود ، وعندما أصل بلفاست سوف أتنفس الصعداء .

أوريوردن : وهنا نختلف ، فعندما أصل الى بلفاست سوف أكف عن التنفس .

شاموس : (يدخل شاموس) هأنذا يا سيدى وقد ضربت الرقم القياسى فى سرعة اعداد العربة سنجد « تم » مستبقيا القطار فى المحطة فلا تقلق .

توللى : انى لا أثق فى « تم » لعله مخمور الآن

شاموس : حسنا ياسيدى هذا ما يجب أن يكون . ولكن فى عصرنا الحاضر ، كما تعلم ، يجب أن نعوّد أنفسنا على كل شىء ، فعندما يزورنى « تم » يتوقع أن يجدنى مشغولا فى انجاز أعمالك ، وعندما أزوره فانى أتوقع أيضا أن أجده ساكنا لا يبدى حراكا .

(يخرج شاموس ومعه الحقائب)

تواللى : (هـازاً يد أوريوردن) أســـــتودعك الله يا أوريوردن .

(تدخل موللى كنزيللا)

موللى : أهلا ، مستر تواللى ، أمسافر أنت هكذا سريعا ؟

تواللى : أجل . ولن يمكننى القول بأنى آسف لذلك ، لقد أتيت الى هنا أنشد السلام والهدوء .

موللى : يا لغرابة ما فعلت !

تواللى : وعلىّ الآن أن أسرع بالسفر قبل أن أنقلب على يد أبن عمك وأجد نفسى أقاتل من أجل أيرلندا.

موللى : هذه فكرة طيبة يا سيد تواللى . سأعلمك الرماية بنفسى .

تواللى : استودعكما الله ! (يخرج)

شاموس : (من الخـارج) : ان الجواد ليضرب الأرض بحافره يا سيدى وكل شىء جاهز للرحيل .

تواللى : (من الخارج) هل هذه العربة مأمونة الجانب ؟

موللى : يا لتواللى المسكين ، انه بقبعته المستديرة ومظلته لم يكن يعلم ما سوف يلاقيه . كان علينـا أن نطلق الرصاص على قبعته حتى يمكنه أن يريها لزبائنه عندما يصل الى وطنه .

أوريوردن : لم يفت الوقت بعـد . حاولى أن تطلقى على قبعته الرصاص من الباب .

موللى : كلا ، لقد قاسى ما فيه الكفاية ومع ذلك فقـد لا يصل المحطة حيا . ان شاموس يسوق العربة بسرعة مخيفة .

أوريوردن : ان توللى رجل طيب ولكنه دائما يستثيرنى فما أكاد أسمع صوته حتى أبحث عن أقرب اهانة لأوجهها له .

موللى : أما أنا فأشعر بغباوتى كلما رأيته حيث نتبادل هذه الكلمات : صباح الخير يا موللى ، صباح الخير يا توللى . كما لو كنـا نتحدى بعضنـا بشكل فظيع .

أوريوردن : أنه ليمكننا أن نصوغ من هذه الكلمات قصة غنائية « طنانة »

موللى : ويمكنك أن تغنيها له عندما يأتى ثانيـة الى أيرلندا .

أوريوردن : سأعد الغناء من الآن (يبدأ فى تجربة الغناء) تقابل توللى مع موللى ذات يوم فى الربيع

موللى : هل أجد بعض الشاى على الموقد ؟

أوريوردن : لابد أن يكون شاموس قد ترك بعضا منه .

(تخرج موللى)

أوريوردن : (يغنى) يقول توللى محدثا موللى ، اننى ملك المنظفات ، يدهشنى ألا يسميه أحد باسم العماد أى باسمه الأول

موللى : (من الخارج) من ؟

أوريوردن : توللى .

موللى : لعله لم يعمد .

أوريوردن : بل لعل اسم العماد أسوأ من لقبه . كان الله فى عونه (يغنى) ... (تقول موللى محدثة توللى ، ألا تتركنى وشأنى ؟)

موللى : (قادمة) هل تريد قدحا من الشاى ؟

أوريوردن : أجل ، أشكرك . (يغنى) ... (ان مكان الملك هو الجلوس على العرش ...) آسف يا موللى ، أين كنت هذا الصباح ؟

موللى : خرجت للنزهة على ظهر الجواد

أوريوردن : وهـل كنت بمفردك ؟ لِم لم تخبرينى ؟ كنت أحب أن أركب الخيل معك .

موللى : ان الجواد « روري » قد أصابه العرج وانى لأعرف أنك تفضل ركوبه هذه الأيام .

أوريوردن : كنت بالتأكيد سأخاطر بركوب أى جواد آخر ، فماذا يهم ذلك ؟

موللى : على أى حال لقـد جاء جونى معى فلم أكن وحيدة .

أوريوردن : خيـل الى انى سـمعته يعسـطاد الأرانب فى الخارج .

موللى : لقد كنا معا ، نحـاول صيد الأرانب من فوق ظهور الجياد فأن فى ذلك بعض التغيير كما أنه أدعى للمرح .

أوريوردن : كان الله فى عونكما . هل اصطدتما شيئا ؟

موللى : لم نصطد أرانب ولكنى أصبت شجرة .

أوريوردن : أين جونى الآن ؟

موللى : انه يعنى بالخيل ولن يغيب .

اوريوردن : أتعلمين اننى كثيرا ما ألوم نفسى بشدة فى بعض الأحيان وأقول لها انه سجينى . ولست أدرى لِم لا أستطيع حتى مجرد تصـديق ذلك . لم يعد العالم الذى فى خاطرى هو العـالم نفسه

الذى كان قبلا . انى أقيسه الآن بمعايير أخرى مختلفة تماما ، فبعض الناس والأشياء تبدو لى أكثر جمالا من ذى قبل وانى لأتساءل : هل جونى ضابط بريطانى أم هو مجرد صديق عزيز أهداه الله لى ليعوضنى عما أنا فيه من عمى ؟ أى الشخصين هو ؟

موللى : كلاهما .

اوريوردن : أجل ، ولعلك تعلمين انى طالما تساءلت كيف يبدو شكله . انه أول صديق لى منذ — هذه الشهور الستة الأخيرة — وانى لأعجب الآن هل يبدو جميلا كما أتصوره فى خاطرى ؟ صفيه لى ، هيا .

موللى : كلا . كلا ، يا ميكل لن أصفه لك .

اوريوردن : هيا صفيه لى ، فكلانا يشعر دائما بالميل نحو الأشخاص أنفسهم ، وسوف يجىء وصفك مطابقا للصورة التى أراه عليها .

موللى : ان صورته فى ذهنك جميلة ، تكاد تشبه صورته فى الحياة .

اوريوردن : أصحيح ؟ هذا جميل ولكنه يبدو غريبا على كل حال . انى لأحتفظ بصور باقى الأصدقاء فى رأسى كما لو كانت صورا معلقة فى متحف داخل برج مظلم . ولكن جونى صوت يدوى فى الخارج أو وقع قدم تقترب منى أو طلقة بندقية تسمع من بعيد .

موللى : حسنا . جميل أن أعلم انك تحبه . لو أن كل عدو كان مثلك يا ميكل لما استمرت هذه الحرب القديمة حتى الآن ؟ هل ترغب فى قدح آخر من الشاى ؟

اوريوردن : كلا . أشكرك وأرجو يا ابنتى أن تدركى أنك حسنة الحظ جدا ، فستبقين فى ذهنى والى الأبد شابة جميلة كما أنت الآن ، فى هذا اليوم من أيام شهر ابريل . ان كل صديق لى يحيا فى مخيلتى .

أليست هذه هدية جميلة لك فى عيد ميلادك القادم ؟

موللى : وهل يجب أن أنتظر حتى ذلك اليوم ؟ ألا يمكننى الحصول على هديتى الآن ؟

أوريوردن : تقصدين هدية عادية ، لا هدية عيد الميلاد .

موللى : هو كذلك . أتذكر كم أعطيتنى من هدايا كثيرة عندما كنت طفلة لا أقوى على الانتظار لمدة عام بأكمله ؟

أوريوردن : أذكر ذلك حقيقة ، ولكنى ما كنت أهتم. لا شك ان فى الأخذ والعطاء متعة كبرى ، حسنا . هذه هى هديتك ... شباب دائم .

موللى : أشكرك أيها السيد الكريم .

أوريوردن : انه لمن المؤسف حقا أن نبدو أكثر جمالا كلما قل النور من حولنا .

موللى : كفى ذلك الآن .

أوريوردن : كلا ، ففى ضوء الشمس يبدو أكثرنا جمـــالا شاحب اللون هزيلا . وفى ضوء الشموع نبدو على شىء من الفتنة ، أما فى ضوء الظلام الذى أعيش فيه الآن فنبدو فى بهاء الآلهة نفسها . ماذا فهمت من كل ذلك ؟ تفضلى بحل هذا اللغـــز من أجلى .

موللى : علىَّ هذا ، يا ميكل ، أتعتبر كل فتاة تقابلهـــا من الآلهة ؟

أوريوردن : كلا والله ، فان دهنى ليحتفظ أيضا بالكثير من الشيطانات . والواقع ان أصدقائى هم فقط أصحاب الحظ الحسن .

موللى : ولكن ألا تعتقد أن الحبيبين يمكنهما أن يظلا جميلين فى أعين بعضهما البعض أبد الدهر ؟

أوريوردن : قد يستمر ذلك بعض الوقت ولكنهما لن يظلا على عماهما الى الأبد .

موللى : مبكل ، انك ساخر قاس . ابتعد عنى .

أوريوردن : آه ، كم من محب كاذب تصدقه حبيبته حينما يصب فى أذنيها هذه الكلمات : « ستظلين جميلة فى عينى أبد الدهر كما أنت جميلة الآن » ، فيحلق بها الأمل والخيال الى العلا ثم تهبط فجأة الى عالم الحقيقة والواقع .

موللى : متى يجتمع شمل شخصيتك المزدوجة ؟ انك لتقدم لى النصيحة الساخرة المريرة بيد وتعطينى الشباب الدائم باليد الأخرى . هيا واستقر على رأى ثابت .

أوريوردن : انى لا أسمح أبدا ليدى اليمنى أن تعرف ما تعطيه يدى اليسرى .

موللى : سيان عندى ذلك فلن يصرفنى ذلك عن الوقوع فى الحب

أوريوردن : أتمنى ألا تقعى فى الحب .

موللى : حتى حب أخى الكبير الوحيد !

أوريوردن : أقسم بالله انى لست بأخيك ولم أكن كذلك يوما ما .

موللى : أبدا ؟

أوريوردن : حسنا ربما كنت أخاك مرة ، ولكنى لست كذلك الآن .

موللى : لذلك فأنت الآن تبتعد عنى .

(تسمع جونى يقترب فنجرى مسرعة نحو الباب ولهذا لاتسمع كلمات أوريوردن التالية)

أوريوردن : انى لا أبتعد عنك يا موللى بل ... أقترب منك . أنا ...

موللى : ها هو جونى قد حضر أخيرا . مرحبا باك

(يدخل جونى)

جونى : مرحبا باك . مرحبا يا ميكل . انه ليوم من أيام الربيع النادرة ، كم تمنيت لو خرجت للنزهة معنا .

اوريوردن : هل بلغ بكما العطف على عالم الأرانب حـــدا جعلكما تحاولان صيدها من فوق ظهور الجياد ؟

جونى : لقد ظننا أن فى ذلك متعة أكثر .

اوريوردن : حاولا صيدها فى المرة القـادمة — بالسهام والأقواس وسوف لا نأكل القطـائر بالأرانب أبدا .

جونى : هذه فكرة لا بأس بها ، فأنى أكره هـذا النوع من القطائر أشد الكره .

اوريوردن : تكرهه جـدا . كان الله فى عوننا . وتقول اننا لا نعنى ما نقول !

جونى : هل أجد شيئا من الشاى فوق الموقد ؟

موللى : سأعد لك بعض الشاى الطازج ، فقد لاتستسيغ طعم هذا الشاى .

جونى : كلا ، كلا ، أرجوك . لقد بدأت أحب الشـاى الذى يعده شاموس .

موللى : ولكننا مشهورون بكرم الضيافة فى هذه البلاد حتى تجاه أصدقائنا .

(تخرج موللى)

جونى : فى الواقع ، يا ميكل ، لم أكن أتصور أبدا أن حياة السجن ستكون سارة لهذه الدرجة .

اوريوردن : لست أظن أنها كذلك فى العادة ولم أجد مثل هذا الاكرام عندما كنت أسيرا عام ١٩١٦ ورغم ذلك فان لم نكن رفقاء بأعدائنا فكيف يتسنى لنا أن نشفق على أصدقائنا ؟

جونى : كيف يمكن أن يكون هذا بربك ؟ من السخف أن أقول ذلك ، كما تعلم ، ولكن هذه الأشهر الثلاثة كانت أسعد أيام حياتى والفضل فى ذلك لك ولولى انى لأرقد فى فراشى وأبارك هذا الشاب الفظ الذى لصق ماسورة بندقيته الباردة خلف رقبتى فى تلك الليلة الشتوية منذ ثلاثة أشهر . لقد كان فى الواقع ملاكا فتح لى أبواب جنة لم أكن أحلم بها وقادنى الى السجن والحرية !

اوريوردن : كل منا سجين يا جونى بطريقة أو بأخرى فأنا سجين الظلام وكلنا سجناء الجسد ، ألسنا كذلك ؟ وحتى اذا هربنا من الجسد الى العقل فسنجد أنفسنا سجناء فلسفة سميكة الأسوار .

وان نحن هربنا من الحياة نفسها فسنجد أنفسنا خلف قضبان الأبدية العالية . ان هـذا الوجود لسجن مخيف ! ولكنا مادمنا نستطيع أن نغنى فى أقفاصنا فستكون سعداء ، فعلام القلق اذن ؟

جونى : انى لا أحس بالقلق يا ميكل الا فى فترات تنتابنى بين الحين والحين فهذا التصادم مع جنود الثان فى الأسبوع المـاضى قـد سبب لى بعض القلق والمشغولية . ولست أدرى هل يبدو لى هـذا القلق غير حقيقى ، أم أن سعادتى هنا هى غير الحقيقية ؟ على أية حال يظهـر لى أن هـذين العالمين مختلفين أشد الاختلاف وأن التصـادم كان مدمرا كأن كوكبين قد تصـادما وها نحن الآن قد عدنا الى ماكنا فيه ثانية فهـل تتوقع حدوث قتال وصدام آخر ؟

اوريوردن : لعلك تعلم تماما يا جونى أنى لا أستطيع مناقشة الأسرار الحربية معـك رغم أنى لا أعلم السبب فى ذلك . فان حدث قتال هنا فى أرضـنا فأى جانب ستتخـذ ؟ ليس جانب جنود الثـان على ما أعتقد .

جونى : كلا ، لن أقاتل معهم .

أوريوردن : تقول كلا ، ومع ذلك فلا زلت تعتبر من الوجهة الرسمية — كما يقول سكانلون — جنديا سافكا للدماء ، سفاحا فى ثياب الجندية .

جونى : استحلفك بالله من هو سكانلون هذا ؟

أوريوردن : هو مساعد سين كللى . لقد وصلا الليلة الماضية . ولن تستطيع حمله على أن يحبك فهو يقول دائما : « هل يمكن أن يخرج من انجلترا شىء صالح ؟ »

جونى : هذه اهانة له ولى . أليس هذا هو ما قاله الفريسيون ... هل يخرج من « الجليل » شىء صالح؟!!

أوريوردن : قد يكون ذلك صحيحا ولكنكم معشر البروتستانت تعرفون الكتاب المقدس أحسن مما نفعل .

جونى : مهما تقل لى يا ميكل فأن سين كللى لم يأت الى هنا لقضاء اجازة . انى أدرك قيمة هذا الرجل من مقدار المكافأة التى رصدت لمن يقبض عليه

... يمكننى القول انها لتزيد حتى عن المكافأة التى رصدت من أجلك .

اوريوردن : اذا كان فيما سأقوله لك ارضاء لفضولك يا جونى فان ما أعرفه فى هذه اللحظة قليل وليس بأكثر مما تعرف ، ولأنى لست من الجنود العاملين فلماذا أحاول معرفة أكثر مما يجب ؟ هذا ولا مانع من أن يكون عدد غير العارفين أقل واحدا .

(تدخل مولى بالشاى)

مولى : شاى . لقد أعددته حسب أفضل طريقة انجليزية طبقا لتعليمات مسز بيتن .

جونى : شكرا ، وأرجو أن تكفى عن تذكيرى بأننى أجنبى فانى لا أحب الشعور بذلك .

مولى : سوف تغنى معنا هذه الأغنية : « لفوا العلم الأخضر حولى أيها الأولاد » ، قبل أن تغادر أيرلندا . انى أرى هذه اللحظة آتية يا جونى تريجارثن ، أيها المهاجر الانجليزى .

اوريوردن : هذا شىء جميل .

موللى : كل شيء جميل هذا الصباح . أنظر الى كل هذه الزهور التى فى الحديقة (تتجه بالحديث فى لباقة طبيعية وجهة تتفق وشعور أوريوردن) يمكنك أن تشم رائحة الزنبق من هنا . انصت — ليس هناك طائر واحد صامت لا يغنى ، لعل الاحساس الجميل بأن الحياة فى بدايتها يغمره كما لو كان هذا أول صباح فى الوجود .

اوريوردن : قد يكون ذلك صحيحا ولعل الله قد خلق العالم ، منذ خمس دقائق مضت ، مكتملا بالذكريات والسجلات والحفريات . هذه نظرية جميلة ... فنّد لى هذه النظرية .

جونى : لا أرغب فى ذلك يا ميكل اذ يبدو لى هذا مشابها لأول صباح ، وأتمنى أن أصدق ذلك . لن نناقش هذه النظرية بل دعنا نتمتع بها . ان هذا الشاى من النوع الجيد الذى تعده والدتى .

موللى : أنسيت أن العالم قد بدأ منذ خمس دقائق ، وأن هذا هو أول قدح من الشاى ، أو أبريق الشاى الأصلى البدائى الأول الذى أعد طبقا لارشادات الله سبحانه لمسز بيتن .

اوريوردن : فى هذه الحالة يجب على أن أتذوقه ، اذ لا يجب أن يفوتنى شىء كهذا .

موللى : يجب أن نشرب كلنا ، نشرب نخب الخليقة ... هذه مناسبة سعيدة لعل الأيام تثبت وجاهة هذه الفكرة . (يشربون) .

اوريوردن : ان طعمه حلو مستساغ كطعم أول رشفة من الماء شربها آدم نفسه من الينابيع البلورية فى جنة عدن !

موللى : انه رقيق ومريح كرحمة الله عندما تتدارك عجوزا فى السبعين ، يموت بعد حياة مليئة بالخطايا الميتة !

جونى : يا له من شاى جيد !

موللى : أوه ، لقد اختفت الشمس . أى سحاب كثيف هذا الذى ظهر فجأة ... انه لطقس ردىء يكاد يشبه طقس انجلترا .

جونى : الى حد كبير .

موللى : قد تكون هناك عاصفة توشك أن تهب .

اوريوردن : بل ربما سئم الله عز وجل هذا العالم وسينهيه بعد عشر دقائق بالضبط من الآن .

(تدق الساعة الحادية عشرة)

موللى : أوه ، لا تقل ذلك يا ميكل . هـذه السـاعة ترعبنى ، انها الحادية عشرة أيضا ... السـاعة الحادية عشرة .

جونى : يبدو لى النهار وكأنه ليل . لقد أحاله هـذا السحاب الى غروب .

أوريوردن : اذن فلنتصرف كما لو كان المساء قد حان فسيان الأمر عندى . هلموا نجمع الظلال حولنا وننعم بالراحة .

جونى : (الى موللى) تعالى هنـا وشـاركينى ظلى . (تجلس بجانبـه) والآن يا ميكـل ، ما دامت هذه أمسية هادئة مريحة فما رأيك فى أغنية ؟

موللى : أجل ، هيا يا ميكل ، أين قيثارتك ؟

أوريوردن : لقد تركتها بجانب النافذة تطن فى نعومة مع كل هبة نسـيم . ها هى يا بنيتى . ماذا تطلبين ... أغنية حزينة أم أغنية مرحة ؟

موللى : أوه . أغنية حزينة بالطبع ، أغنية حزينة .

جونى : أجل . دعنا نستمع الى أغنية حزينة ، وكلمـا كانت أكثر حزنا كان ذلك أفضل .

(يدندن أوريوردن بعض نغمات من أغنية « سالى جاردنز »)

أوريوردن : (يغنى) :

هناك ، قرب الحدائق كان لقائى معها ...
حين قبلت ، حبيبتى ، بأقدام بضة صغيرة تتهادى ...

نصحتنى أن أحب فى هدوء ، كالشجر تنمو أوراقه رويدا رويدا ...

ولكنى ، كنت صغيرا طائشا فلم أوافقها على رأيها .

***

فى حقل بجانب النهر وقفت واياها ...
وأملت كتفى لتضع عليه يدها البضة الصغيرة ...

نصحتنى أن أعيش فى هدوء ، كالعشب فوق السدود ما كان لينمو لولاها ...

ولكنى كنت صغيرا طائشا وهأنذا أذرف الدموع الغزيرة ...

(خلال المقطع الأول تتشـــابك أيدى موللى وحونى . وخلال المقطع الثانى ، يظهر من بين الظلال التى فوق السلم شبح رجل ضـخم يرقبهم)

كللى : (عقب انتهاء الأغنية)

ان عظماء أيرلندا الغاليين

قد خلقهم الله مجانين

فكل حروبهم مفرحة .

وكل أغانيهم محزنة .

أوريوردن : سين ! آه ، ماذا تفعل ، تتسلل الينا كما لو كنت اله النقمة نفسه وكما لو لم يكن لدينا من النكد ما يكفينا ، بينما نهاية العـالم تهـددنا وتهدد الجميع .

كللى : ماذا ؟ تقولها مرة ثانية ؟ ألهذا السبب تغنى ؟ هل تغنى لترفع من روحـك المعنوية فوق سطح عالم موشك على الغرق ؟

أوريوردن : ومنـذ متى يحتاج الانسان الى سبب للغناء ؟ لن أكف عن الغناء لمجرد أن الله قد حجب النور عنى . هذه ابنة عمى ، أين أنت يا فتاتى ؟

موللى : هنا .

أوريوردن : موللى كنزيللا وكابتن جون تريجارثن ... سين كللى .

كللى : (الى موللى) أهـــلا . (الى جونى) كابتن تريجارثن ؟

جونى : من الجيش البريطانى .

كللى : أجل . أجل . لقد نسيت أنك هنا . (متهكما) ألديك أية شكوى من معاملتك ؟

جونى : مطلقا .

كللى : (يتحول نظره من موللى الى جونى ومن جونى الى موللى) لا شكوى اطلاقا !

أوريوردن : حسنا أين كنت طوال هذا الصباح يا سين ؟

كللى : أوه ، كنت أرتاد الموقع لأفتش المكان ؛ لقـد وصلت الآن فقط الى هذا القصر . استحلفك بالله ماذا تفعل بثمانية أحواض غسيل ؟

أوريوردن : أوه ، ألم تعرف بعد ؛ ان توللى يملك هـــذا البيت ، توللى الذى يكتب اسمه على الخزف الصينى من هنا حتى بلاد الصين .

كللى : ولكن لماذا ، اذا جاز لى أن أسأل ؛ تختلف ألوان هذه الأحواض (المغاسل) الثمانية ؟

أوربوردن : أنها تذكره بوطنه فلكل فرد فى العائلة حوضه الخاص به .

كللى : حسنا . انى لأرجو من أجل ايرلندا أن تتجنب هذا الحوض الأخضر .

موللى : ستتركك يا مستر كللى فأنى متأكدة من أن لديك ماهو أكثر أهمية .

كللى : هناك أوقات لا يوجد فيها شىء أكثر اهمية ، ولكن هذا ليس واحدا منها .

موللى : سنرجع ثانية بعد حين . ربما نقابلك على الغذاء.

أوربوردن : مع السلامه مؤقتا ، مع السلامه يا جونى .

جونى : الى الملتقى . (تخرج موللى وجونى)

أوربوردن : حسنا ، يا سين ، ما الذى جاء بك الى أقصى الشمال ؟

كللى : يظهر ان كابتن تريجارثن مرتاح الى البقاء هنا وكأنه فى بيته .

أوربوردن : هذا ما أريد قوله . انه فتى عظيم .

كللى : وابنة عمك تبدو نضرة يانعة .

أوربوردن : (حزينا) أجل انى متأكد من ذلك .

كللى : قل لى ، هل تابعت ما سبق لك أن حدثتنى عنه بخصوصها منذ برهة ؟

أوريوردن : كان ذلك قبل الحروب الكثيرة التى كان علينا أن نخوض غمارها مما جعلنى أؤجل مفاتحتها . يا للعنـــة ! كيف أطلب منها أن تكون زوجتى الآن ؟

كللى : ولم لا ؟

أوريوردن : أوه ، لقـــد حاولت ذلك مرة أو مرتين ولكن الفرصة كانت تفلت منى . ولعلك تدرك يا سين أننى كنت لها دائما بمثابة الأخ الأكبر حتى أنها لن تستطيع — فيما أظن — أن تنظر الى بأى اعتبار آخر . وفى صبيحة هذا اليوم نفسه بدأ الحديث يتجه بنا وجهتـــه الملائمـــة ولكنى فى اللحظـــة التى جمعت فيهـــا أطراف شجاعتى لمفاتحتها دخل علينا جونى .

كللى : دخل جونى .

أوريوردن : وهأنا الآن قد فترت عزيمتى ثانية !

كللى : ميكل ، هل ترغب فى أن أنقله من هنا ؟

أوريوردن : من ؟

كللى : كابتن تريجارثن .

أوريوردن : يا لله ! كلا . انه صديقى ولا أحب أن أفقده مقابل أى شىء فى العالم . انه لعجيب منك أن تقول ذلك لى فجأة . لمادا أرغب فى أن أفقده ؟

كللى : أوه ، ليس هناك من سبب ، غير انه من الحمق أن تشعر بكل هذا الحب نحو عدو . لكن يظهر لى ، يا ميكل - - اذا سمحت لى بالرجوع الى الموضوع الذى يهمك — ان قلبك لا زال يسير فى نفس الاتجاه منذ آخر مرة تحدثت فيها الى ، ولهذا لن أضيع أى وقت ، بل وسأتابعه .

أوريوردن : آه ، بالتأكيد انى أعلم ذلك جيدا ولكن كيف يمكن لى أن أثبت من أنها لن تقول : نعم ؛ بدافع الشفقة والرحمة ؟ لن يمكننى أن أتحمل عجزى عن رؤية عينيها عندما أفاتحها فى أمر الزواج . كيف يمكننى أن أخمن ملامح الدهشة والأسى التى ترتسم أولا على وجهها ثم تطردها شفقتها على ورحمتها بى ، وهذه ليست حبا ؟

كللى : ميكل ، ليست هذه طبيعتك . ينبغى أن تكون

محبا من نفس الطراز الذى كنت عليه كمحارب. فوالله كم حسدتك على هـذا النوع النادر من الجنون الذى كان يعتريك عندما كنت تحارب وكأن أسـلافك ممن لا تعى الذاكرة أسماءهم يركبون معـك ، يهتفون فى عروقك ويملأون شغاف قلبك . هذه هى الطريقة التى يجب على الرجل أن يحارب بهـا . وكنت أقف بجانبك مشدوها كما لو كنت أحل حسـابا عقليا ... لا ريب فى أننى كنت محاسبا عظيمـا ؛ أضيف جرحا هنا وانقص حياة من هناك ، مطابقا الحذر التربيعى للألم مع نتيجة فصل جسد عن روحه وفى نهاية الموقعة كنت أتمكن من أن أقول لك الجواب ؛ حتى الحـد الثـالث العشرى بكل دقة . قد يلتمس لمثـلى بعض العـذر ان أنا تصرفت فى شئون الحب كما تتصرف فأنا بارد بطبعى ولقد قضيت حياتى محاولا أن أجعـل نفسى تحس الحـزن والحب وغيرهمـا من العواطف ولكنى فشلت .

أوريوردن : ربمـا كان فى امكانى أن أحب مرة كمـا كنت

أحارب ولكن القلب كالطفل يخيفه الظلام .
وعلى أية حال ، ماذا تحاول أن تجعل نفسك ؟
أتريد أن تكون سمكة باردة مختنقة تلمع فوق
عالم يكسوه العشب الأخضر ؟ ان القلوب
الباردة لا تحارب فى سبيل القضايا الضائعة
كما فعلت انت . هل يفعلون ذلك الآن يا سين
كيللى ، أيها الجندى الغنى ، وهل يفكرون فى
القضايا الخاسرة فحسب !

كللى : كنت أتمنى فقط أن أجعل نفسى تحس وتشعر يا ميكل . هذا كل مافى الأمر ولكنى لم أتمكن فكل قضية أحارب من أجلها تربح ، أليس هذا فظيعا !

اوريوردن : وما رأيك فى قضيتنا هذه ؟ أظنك قد قدمت الى هنا بصفتك الرسمية كعالم فى علم الحساب ؟

كللى : هو كذلك فى الحقيقة . ولكن مشكلتك الخاصة تشغل ذهنى فى الوقت الحاضر أكثر من أى مشكلة أخرى .

أوريوردن : هذه نظرية خاطئة بكل تأكيد يا سين . فعندما تتمدد على العشب فان زهرة على بعد بوصة

أو بوصتين من عينك ليمكنها أن تطمس جبلا على بعد ميل أو ميلين منك . دعنا اذن نقتلع مشكلتى الصغيرة هذه لننظر الى الجبل الضخم، أليس كذلك ؟

كلى : أنقتلع مشكلتك ؟ حسنا كم أتمنى لو أمكننى ذلك . ومع كل فهيا بنا الى العمل . ان لدينا معلومات عن نشاط جنود التان فى هذه المنطقة ، والقوة التى زارت هذه المنطقة فى الأسبوع الماضى لم تكن الا طليعة للاستكشاف ، وسيرسلون اليها الفصيلة التى نزلت الى البر الليلة الماضية فى « جالن باى » لتقويتها . وقد تلاقت الفرقتان ؛ وهما آتيتان الينا عن طريق البر ؛ بينما وصل الجنود الى « دالجنى » من ساعة مضت . أما هدفهم فهو تطهير مقر القيادة هذا .

أوريوردن : هكذا ! مسكين توللى !

كلى : سيفوقوننا عددا بالطبع ولهذا فان أفضل فرصة لدينا هى أن نعد لهم كمينا ؛ لقد جمعت كل ما أمكننى الحصول عليه من الرجال الصالحين

وهم ينتظروننى الآن مسلحين فى الغـابة الى الشرق من هذا المنزل . أمامنا وقت كاف ، أما المشكلة الآن فهى فى اختيار مكان الكمين . ولما كنت تعرف هذه الناحية تماما كما تعرف أعضاء جسدك ، فقـد أتيت أطلب مشـورتك . لقد اجتزت هذه الأنحاء كلها بسرعة فى الليلة الماضية وفكرت فى « كلن وود » لأن الطريق تنحنى خلالها ، فما رأيك ؟

أوريوردن : سيجد الأعداء هناك ما يغطيهم . كما نجد نحن تماما متى أطلقنا عليهم النيران .

كللى : أين نعد الكمين اذن ؟

أوريوردن : ما رأيك فى « قنطرة جلاسفنت » التى يتحتم عليهم أن يعبروها ؟

كللى : أليس فى قرب هذا المكان من هنا خطر علينا ؟

أوريوردن : قد يضللهم ذلك فيظنون أننا غير مستعدين .

كللى : قد يحدث ذلك حقيقة .

أوريوردن : كما أنها أفضل موقع للكمين ، اذ يمكنك وضع نصف رجالك على هذا الجانب من القنطـرة والنصف الآخر فى الغابة الى يسار الطريق .

دع جنود الدنمرك يعبرون القنطرة ثم صب عليهم النيران من هذا الجانب حتى اذا هموا بالتقهقر الى الخلف وعبور القنطرة أطلقت عليهم النيران من الجانب الآخر وسيكون ذلك مفاجأة مزدوجة للعـــدو .

كللى : مفاجأة ... يا له من تقليل لقيمة الخطة ! أجل سنرفع لهم حواجبهم دهشة ودعرا ! انى لأذكر هذه البقعة جيدا . أين هى على الخريطة الآن ، أه ، نعم . وسيعطينا ذلك وقتا كافيا . لا يمكن لجنود الدنمرك أن يكونوا قد وصلوا الى أبعد من « جلاسلو » حتى الآن . وتصلنا التقـــارير عنهم كل ساعة . فاذا تمكنا من أخذ مواقعنا فى الساعة الثالثة من عصر اليوم كان أمامنا وقت متسع . (ينادى من بعيد) سكانلون !

سكانلون : (من بعيد) هأنا قادم يا سيدى .

(يدخل سكانلون ، وهو نحيف ، أسمر ، خجول ، محاص لكللى ، متعصب لدرجـــة الجنون)

كللى : ابق قريبا منى هنا حتى بعد الغذاء ثم احضر فى الساعة الثانية . سننصب كمينـــا فى « قنطرة

جلاسفس » ولكن لا تقـل ذلك لأحـد بعد فالألسنة طويلة جدا .

سكاناون : آه شكرا لله فسيوفر ذلك للكاهن وقتا يستمع فيه الى اعترافاتنا لقد كنا نخشى أن نذهب الى ميدان القتال على عجل دون أن نحصـل على شيء سوى غفران عام . (يخرج)

كللى : يـ عزيزى سكانلون ! انه شديد التمسك بايمانه ... هذا كثير جدا على عقله الضعيف .

أوربوردن : هل ستذهب أنت نفسك ؟

كللى : الى الاعتراف ؟ لا أظن ذلك . لست أجد مبررا لأن أكسر عادتى ، لقد مضى الآن على آخر مرة ذهبت فيها للاعتراف عشر سنوات .

أوربوردن : لقد وجدت نصف العادات لتكسر .

كللى : لست أنا الذى أكسرها ، رغم اننى كدت أفعل ذلك سنة ١٩١٦ عندما قال الأميرالاى الصفيق الوجه فى المحكمة العسكرية : « ستؤخذ من هذا المكان لتضرب بالرصاص » ولكن تأجـل التنفيذ ومرت الأزمة بسلام .

أوربوردن : حسنا فليهبك الله موتا مريحا هادئا فى فراشك !

كللى : ليس معنى ذلك انى لا أومن بكل هـذا ... كلا ... انى أومن طبعا بالاعتراف ولكن لكى تعترف يتحتم عليك أن تشعر بالحزن والندم على خطاياك ، ولم أشعر فى حياتى أبدا بالحزن على شىء .

أوريوردن : لعل الحزن أحد هذه العواطف التى تدعى أنك لا تحس بها ؟

كللى : ولكنى لا أشعر فعلا . لا تحـاول أن تشكل أصدقاءك حسب ما تريد يا ميكل . أنظر اليهم كما هم ثم أحببهم ان استطعت . وأقولها بكل أمانة انى لم أحزن فى حياتى على شىء . يظهر ان الحزن والندم وغيرهما من المشاعر اللطيفة قد ماتت فى داخلى أو لعلها لم تولد أصلا .

أوريوردن : بل على الأرجح انها نائمة فقط يا سين كالعذارى الجميـلات الناعسات ينتظرن قبـلة الأمير ليستيقظن ! ما رأيك فى ذلك ؟

كللى : هذا تعليل جميل ، ولكن ، أخشى أن يكون ذلك كذبا صريحا . فكم تمنيت على الله أن أتمكن من البكاء ولو مرة واحدة حتى أرجع عقارب

الساعة الى الوراء لأبطل شيئا فعلته . وفى بعض الأحيان تحدثنى نفسى بارتكاب عمل فظيع لمجرد تحقيق هذا الأمل وقد أفعل ذلك يوما ما ... أجل ربما فعلت ذلك .

(يدخل سكانلون راكضا)

ما الذى يجعلك — بحق السماء — تلقى بنفسك هنا دون أية أوامر ؟

سكانلون : آسف يا سيدى ، ولكن الرسائل تحمل أنباء مرعبة ... يا الهى ! انها أخبار مروعة .

كلى : هدىء من هوسك وقل لنا ما لديك من أخبار

سكانلون : لقد أطلق الأنذال النار يا سيدى على«ركسيوه» و « ميجل » و « أوشيا » دون اكتراث ، فانطلقت الأخبار كالنيران من دبلن .

(ينتزع كلى الوثائق منه)

اوربوردن : «ركسيوه» ، «ميجل» و «أوشيا» ! يا الهى ، لا يمكن أن يكونوا قد قتلوا ! هل أسروا ؟ أم ماذا وقع لهم ؟

سكانلون : أسروا وأعدموا رميا بالرصاص دون مبالاة ، اخترق الرصاص أجسادهم ولم يسمح

لهم بمقابلة الكاهن . انها لأبشع جريمة .

أوريوردن : لكنهم أسرى حرب ! ولا يطلق الرصاص مطلقا على أسرى الحرب !

سكانلون : لقد اقترف جنود التتار هذه الجريمة . ألا فلتحل عليهم لعنة الله وتقذف بهم الى الجحيم .

أوريوردن : ليرحم الله روح « ميجل » .

كللى : (بشدة) رحماك يا ربى ، هل أعجز حتى عن مجرد الشعور بالحزن حينما يطلق الرصاص على ثلاثة من أعز أصدقائى ؟ حسنا ، لقد أصبحت يا « ميكل » كل ما تبقى لى من أيامنا المجيدة الماضية ، أنت و « كفن بيرن » ... ما هذا ؟ (يستمر فى القراءة) لكى يكون الموت جزاء الموت والحياة مقابل الحياة يجب أن يقترع على أسماء ثلاثة من ضباط الجيش البريطانى أو من ضباط الصف .

أوريوردن : ما هذا ؟

كللى : انه الثأر . يا للغباء .

سكانلون : غباء يا سيدى ؟ هذه عدالة السماء ، انها كذلك.

أوريوردن : ألا تصمت ؟ . سين ! أى شىء هذا ؟ ما الذى سيحدث ؟

كللى : هذا هوس فى مقر القيادة . انها حماقة الغضب. والآن أدركت سر كتابتهم الى بكل هـــــذا التفصيل عن الموضوع . انهم يظنون أنى لن أشعر بوخز الضمـــير ، وأحسب انهم على حق فى ذلك . لقد أنابونى لتنفيـــذ حكم الاعـــدام بالقرعة ، يساعدنى فى ذلك اثنان من كبـــار الضباط وهما يقصدانكما بذلك أيها السادة .

أوريوردن : ولكن ، يا سين ، اننا ...

كللى : لا محل للمناقشة . هذه أوامر صريحة يجب أن تنفذ سواء اتسمت بالحماقة أم بالحكمة . لقد أقسمنا على أن نفعل ذلك .

سكاناون : شكرا لله ، سيكون لى يد فى الثأر لأصحابى .

أوريوردن : استحلفك بالله أن تكف عن هـــذا الابتهاج والافتخار .

كللى : انصتوا أيها السادة .. سيكون التنفيذ خـلال ثلاثة أيام على يد أى ضابط مكلف بحراســة هؤلاء الرجال المحكوم عليهم . آه ! ها هم قد أرفقوا بخطابهم عامدين قائمة بأسماء الأسرى من ضباط وصف ضبـاط ، لم يرتبوها حسب

الحروف الأبجدية ، كما أرى ، ولكنهـا كتبت حسب ما اتفق فالعريف بجانب العميد كما تأتى الستة بجانب الملك فى ورق اللعب . حسنا ، أيها السادة ، ان لدينا متسعا من الوقت قبل الغذاء فهل نبتدىء الآن فورا ؟ اجلسا . أقترح عليكما أن يمسك واحد منا بدبوس يخز به أسماء من تقع عليهم القرعة لإعدامهم وحتى نتأكد من أننا سنكون منصفين وغير منحازين هل تتفضل أنت بالقيام بهذا العمل يا ميكل ؟

أوريوردن : سين ، استحلفك بالله دعنا نناقش هذه الأوامر فلن نستطيع رمى رجال الجيش البريطانى بالرصاص ردا على ما ارتكبه جنود التاج .

كللى : لا أجد أى فرق فى ذلك .

أوريوردن : ستندم القيادة على ذلك فيما بعد ... أجل ستندم حتما .

كللى : انك تعرف قائد الجيش وتعلم أنه لن يندم ، فما يقلقك ؟ ان استقرار عدد من الرصاص الرمادى فى القلب لطريقة صالحة للموت كغيرها من الطرق ... ان كانت هناك طرق صالحة

تسبب الوفـاه . وعلى أية حال فغضب الرأى العام يتطلب منا تضحية وعلينا أن ننحنى أمام العاصفة . وقبل أن نبدأ عملية الاقتراع علينـا أن نوضح نقطة هامة . ان من يجـد الدبوس اسمه ، كائنـا من كان ، يجب أن يموت . لن يكون هناك أى تلاعب أو استثناء ويجب أن نكون كما سمانا القائد فى بلاغة تنقصها الدقة ، «أداة العدالة الألهية» . فهل نحن على استعداد؟ لا فائدة ترجى يا ميكل فنحن ملزمون لأننـا أقسـمنا على طاعة الأوامر ولهـذا فلن تقع المسئولية علينا .

تذكر أن القسم ملزم لنـا . هيـا الى العمـل فنحن منتظـرون . (يخز أوريوردن اسـما) سكانلون . سجل الأسماء كما أناديها : الرائد بيتر بيردمور .

سكانلون : رائد ؟ أليس كذلك ؟ ... رائد ؟ ...

كللى : ان الرتبة العسـكرية ليست جوازا للخلود : اكتب اسمه عندك .

سكانلون : (وهو يكتب) الرائد بيتر بيردمور

كللى : التالى (يخز أوريوردن اسما آخـر) ليست الوخزة قريبة من اسم بالذات .
اغرس الدبوس ثانية (يفعل أوريوردن ذلك) الرقيب نيڤيل دى كورسى . يا له من اسم جميل لرقيب . لعله غيره فى سجل المقترعين ومع كل فسوف يلحق سريعا بارستقراطية القديسين .

سكانلون : (يكتب) الرقيب نيڤيل دى كورسى .

أوريوردن : سين . رحماك .

كللى : كلا ، يا ميكل ، حتى لو كنت أشعر برحمة بهم فسأظل عاجزا عن تقديمها سأخدم من أقسمت اليمين على خدمته فحسب ، وهـكذا يجب أن تفعل أنت . لننظر الذى يليه .

(يدخل توللى وشاموس بالحقائب)

توللى : ضع الحقائب على الدرج . سأضطر للسفر غدا ، هذا كل مافى الأمر . لن أعطلكم أيها السادة ؛ انى مالك هذا المنزل .

كللى : (فى هدوء) التالى .

شاموس : انى آسف يا سيدى ولكن كيف كان لى أن أعلم ان « تم » قد تسلق عربة الماء دون أن يخطرنا ؟

(يخرج توللى وشاموس الى فوق)

كللى : التالى ... (يخز أوريوردن اسما آخر)

كللى : (ينظر الى الورقة ثم يركز نظره على أوريوردن لحظة طويلة ويستدير فجأة الى سكانلون) : النقيب جون تريجارثن .

أوريوردن : (يصرخ) أوه ، كلا .

(يدخل جونى وموللى متأثرين ويد كل منهما فى يد الآخر)

موللى : (وهى داخلة) ميكل ، ميكل ، هل أنت هنا ؟ ان لدينا أخبارا لك .

جونى : أخبار عظيمة هامة .

موللى : آه ، انى آسفة ، سنخبرك فيما بعد . فلتباركك السماء أيها العزيز ميكل . مسكين توللى ، لقد فاته القطار . (يضحكان معا ويخرجان).

سكانلون : النقيب جون ؟

كللى : تريجارثن .

سكانلون : (يكتب) تريج — آرث — ان (بينما يقف أوريوردن متصلبا ويكتب سكانلون متجاهلا)

تسدل الستار

الفصل الثانى

المنظر نفسه ، عصر اليوم نفسه

(شاموس يصقل أدوات المائدة الفضية فى منشفته الجوخية الخضراء)

(تدخل موللى من الحديقة)

موللى : أوه ـ شاموس ، ألم تر ميكل فى أى مكان ؟

شاموس : مستر ميكل ؟ دعينى أفكر ، لقد رأيته آخر مرة ... متى كان ذلك ؟ كان هذا بالضبط قبل أن يركب المستر توللى الى المحطة . لقد كانا يتحدثان هنا وكنت أنا أعد العربة .

موللى : ألم تره منذ ذلك الحين ؟ لن يجدينا ذلك .

شاموس : انتظرى . ألم أره عند رجوعى ! ... لقد كان مع كللى نفسه ومع شاب آخر فى هذه الحجرة نفسها ؟

موللى : حسنا ، لقد رأيناه حينئذ ، ولكنا لم نقف له على أثر من وقتها ، انه لم يتناول طعام الغداء بعد .

شاموس : آه ، هذا لا يصح ، فعلى الانسان ألا تفوته أى أكلة رسمية من النوع الجيد .

جونى : (نازلا السلم) لم أجد له أثرا فوق ولكنى لا زلت أضل طريقى فى هذا القصر الفسيح . قد أكون أغفلت جناحا بأكمله .

موللى : حسنا ، يمكننا أن نخبره فيما بعد أيها الحبيب ، لا بد أنه مشغول بشىء ما ... ربما تكون قد وصلته أخبار سيئة عن بعض أصدقائه فى ساحة القتال .

جونى : أجل . فقد بدا لى الجو مكفهرا عندما دخلنا . هذا لا يهم ، فالأخبار الطيبة كالخمر الجيدة تستحق الانتظار .

شاموس : هل شربتما من الخمر التى عصرتها اليوم ؟

موللى : شربنا فعلا ، فقد كنا نحتفل ...

شاموس : ان لونها رائع ، وهذا يذكرنى بالفترة التى كنت فيها سجينا عقب حملى السلاح من أجل أيرلندا سنة ١٦ فقد كنت أجلس وأنظر من بين قضبان السجن الى التلال الخضراء وأشعة الشمس الغاربة الحمراء والنجوم الفضية وأفكر فى

المنشفة المصنوعة من الجوخ وفى الخصر التى أعصرها وفى الملاعق التى أجلوها . وعندما أرقد فى فراشى الضيق فى الليل كنت أحلم بأنى أربط هاته التلال الخضراء حول وسطى وأعصر الشمس الغاربة نفسها وأحمل ملايين النجوم التى تملأ هاته القبة الزرقاء آه ، يا له من حلم عظيم ! ويا لها من يقظة مخيفة مروعة !

موللى : (الى جونى) هاك نجم امسكه فى يدك . (تعطيه ملعقة)

جونى : وهاك نجم لك . كم أتمنى ألا يخبو نورهما أبدا .

موللى : دعنا نحتفظ بهاتين الملعقتين ، ألا ترى أن نحتفظ بهما ليجلب لنا الحظ ياشاموس .

شاموس : يمكنك ذلك ، طبعا ، يا مس موللى . ان الملاعق ليست ملكى بالتأكيد وانى لأتمنى أن تجلب لكما حظا سعيدا . سأترك باقى هذه الملاعق تتلألأ على المائدة وتضفى على الحجرة جوا من الراحة . ان الجو معتم فى الخارج وهناك اشاعة عن قرب قدوم جنود التان . ألا تسمعون :

كم يسود الهدوء ؟ ان الجنود يقومون بمهامهم تحت قيادة كللى نفسه .

جونى : اذن فمن الأفضل لنا أن نبقى فى الداخل .

موللى : لن يمنعنى شىء من النظر من النافذة اذا سمعت أى حركة .

جونى : كلا . أرى أنه يجب علينا جميعا أن نعتصم فى الثكنات ... على الأقل حتى يعودوا . كم أتمنى لو أن ميكل كان معنا هنا .

شاموس : سأبقى داخل القصر يا سيدى وسيكون المستر توللى أيضا قريبا منا هنا ، فلا تخف أبدا . واذا رأيت المستر ميكل ، فهل أخبره أنكما تبحثان عنه ؟

موللى : أرجوك . بارك الله فيك .

شاموس : وبورك فيك .

(يخرج شاموس)

موللى : يا لشاموس العزيز وقد امتلأت يداه بالنجوم .

جونى : انه خيالى كبير . يعتقد ميكل أنه سجن لاتهامه بالسلب والنهب .

موللى : آه ، وما أهمية ذلك ؟ لا بد أنه كان نهبا جميلا

طبقا للطقوس والرسميات ! انه شـــاب صغير عظيم .

جونى : (مسكا بملعقته) ألبست هذه رمزا للزواج ؟

موللى : (بنعومة) أجل ... أرجوك .

(يقبلان بعضهما)

جونى : أوه يا عزيزتى موللى . كم أتمنى لو كنا بعيدا عن هنا — هناك فى انجلترا — أريد أن يكون حبنا فى هدوء .

موللى : آه ، بالتأكيد . لا تقلق لهذا الاحتكاك الطفيف مع التان . لا يمكننى القول بأنى أحب كللى ، ولكنى أثق فى حمايته لى . وعلى أية حال ، انظر ، فها هى سماؤنا الصغيرة الصافية المليئة بالنجوم والتى لن يمكن للفيـــوم أن تعكر صفوها أو للعواصف أن تزعجها ، موضوعة هنـــاك وقد رسمتها يد العالم الفلكى شاموس نفسه . انظر ، تجد كوكب « أوريون » (كوكب الجبـــار) بحزامه وسيفه .

جونى : وها هو (المحراث) وقد انقلب رأسا على عقب.

موللى : أوه يا حبيبى ، هذا معناه سقوط المطر ! تأمل ،

نجوم الثريا بأكملها فى ملاعق الرسل .

جونى : وها هو نجم لا يوجد فى السماء العادية اطلاقا . نجم جديد يسبح فى مدى البصر . ماذا نسميه ؟

موللى : شكر الله قبل تناول الطعام .

جونى : لماذا هذه التسمية بحق السماء ؟

موللى : انها ملعقة حساء .

جونى : تعليل جميل . ان ميكل موهوب ، لقد كان على حق عندما قال ان العالم قد ابتدأ اليوم . انه لكذلك فى نظرنا نحن على الأقل . ألا يبدو كل شىء حولنا غريبا فطريا ؟ ... انظر ، ان ضوء هذه الحجرة لا يشبه أى ضوء آخر سبق لى رؤيته ، انه يبدو كلون البنفسج نتيجة لهبوب العاصفة وتجمع الغيوم فى الخارج وهذا النور فى الداخل .

موللى : ان حبنا يتحدى الرعد ! وسنقبل التحدى ! خبرنى الآن أين سنعيش فى انجلترا ؟ وهل سيتمكن هذا السيد لابس الكاكى من أن يوفر لى الرفاهية التى تعودت عليها هنا ؟

جونى : أوه ، انها نوع من الرفاهية مختلف جدا

كاختلاف انجلترا عن ايرلندا . فأول كل شيء انى حينما أخرج من هنا سأستقيل من الجيش. لقد أخذت كفايتى من الجنـدية فى الأسبوع الأول من خدمتى .

موللى : يا حبيبى المسكين ولماذا بقيت فى الجندية ؟

جونى : أوه ، بدافع القصور الذاتى فحسب . ان الأبن الأصغر للمزارع الثرى لا يرث كما تعلمين ، وأنا فى شديد الحاجة الى البقاء فى المزرعة .

موللى : حسنا ، استمر ، قل لى أين سنعيش ، أريد أن أرمق المستقبل .

جونى : فى المزرعة يا حبيبى . لقد قتـل أخى الأكبر عام ١٩١٨ وقارب أبى السبعين ، وهو يتوق الى رؤيتى معه فى البيت . لهذا سنعيش فى المزرعة ، وستحبين والدى ، ان له أقسى أنف وشارب يمكن أن يقع عليهمـا بصرك ولكن له أطـرف عينين .

موللى : أوه ، لقد أحببته فعلا .

جونى : تقع المزرعة على تل فى باكنجهام شير وفى اليوم المشرق يمكنك أن تشاهدى لندن ، وبمساعدة

المنظار المقرب الذى يحتفظ به أبى فى حجـرة نومه يمكنك أن ترى كنيســة القديس بولس نفسها .

موللى : منظار مقرب فى حجرة نومه ؟

جونى : أجل . انه يرقب به النجوم أيضـــا ، ورغم أنه لا يعترف بذلك أبدا فهو يستخدمه ليشاهدنا عن بعد عندما نرجع الى البيت فى اجازة .

موللى : يا له من حبيب . اذن فسأتمكن من الذهاب فى عربة الى لندن وأشترى المدينة بأكملها . أرجو أن تكون لديكم عربة ذات أربعة خيول .

جونى : يا حبيبتى ، لدينـا سيارة رولز رويس ، وهى سيارة عظيمة كبيرة تكفى لحمل تابوت .

موللى : يا لمحبة الله ! سيارة يدفعها محرك آلى . انهـا مخاطرة لم أقم بها بعد .

جونى : ستكون واحدة من سيارات عديدة يا حبيبتى . كما أنه يوجد بقرية بروم ، القريبة من موطنى ، أجمل كنيسة قديمة ذات برج مربع وعلى جانبها ساعة شمسية (مزولة) ملونة مكتوب تحتها : « يقبل الليل » . لست أدرى لم تبدو هـــذه

المزاول الشمسية كئيبة قاتمة باستمرار ؟

موللى : لن نحتاج ، بكل تأكيد ، الى مزولة لمعرفة الوقت ومع كل فسيبدو النهار أكثر اشراقا بسببها (بلطف ورقة) حبيبى جونى ! هل فى هذه الكنيسة القديمة ذات البرج تنوى الزواج منى ؟

جونى : كلا ، لا تحملى هما . فهناك كنيسة كاثوليكية على طرف القرية مبنية من العاج المعرج وستكون هذه كاتدرائيتنا ، فهل يرضيك هذا ؟

موللى : يخيل الى أنها الجنة بعينها وسنحاول أن نجعلها كذلك ، فهل نحن فاعلون ؟

جونى : سنفعل ذلك بكل تأكيد ، فحالما تزول هذه المتاعب — ولا يمكن أن تدوم أطول من ذلك — سوف نبحر الى انجلترا ، ومن دواعى الأسى أننا لن نستطيع أخذ ميكل معنا . سوف نشعر بوحشته .

موللى : يمكنه أن يأتى ويكون عرابا لأول طفل لنا .

جونى : (ضاحكا) أجل فوالله ما كنت أدرى بعد أن

تعودت على سماع اسمه بهذه الكثرة أننى سأقابله على هذا النحو . ان اسمه واسم كللى أشبه بالأسطورة بين المحاربين البريطانيين هنا ، هل تعرفين ذلك ؟ لقد كنت أشعر بالخجل عندما أجد أن الجنود الهواة قد أصبحوا فى شهرة أبطال الأساطير بينما أنا ، وصناعتى الجندية ، انظر الى الحرب بخوف ووجل . ألا يستمر حبك لى اذا اعترفت لك أننى فرحت عندما أخذت أسيرا ؟

موللى : لن يوجد شيء فى كل هذا العالم الذى خلقه الله سبحانه يمكنه أن يمنعنى عن حبك . وأرجو أن تكون فرحا بأسرك والا فكيف كان يمكن أن تتقابل ؟.

جونى : كم عانيت من كابوس أولئك الذين كنت أطلق النار عليهم فانى لم أتعود على ذلك أبدا ، كما خشيت أيضا على نفسى من أن تطلق على النيران. وطالما حلمت بعين زرقاء واسعة تنظر خلال قلبى.

موللى : لا تبتئس يا حبيبى فقد انتهى كل شيء الآن .

جونى : أجل . كل شيء قد انتهى .

(رعد ٠ يتكرر الدوى)

موللى : انس العاصفة التى فى الخـارج وفكر فقط فى النجوم التى فى الحجرة (تشير الى الملاعق) انها ترمز الى مستقبلنا وهى لامعة ثابتة هيـا افرح وتهلل .

جونى : آسف يا حبيبتى . فمما يضايقنى ألا أجد نفسى فى هذه اللحظة واقفا بأطراف أصابعى على قمة هذا العالم كما يجب أن أكون مادامت أجمـل فتاة تصيـد الأرانب من فوق ظهور الخيـل تحبنى ...

موللى : جونى ! ان هذا لن يترك مجالا للمنافسة .

جونى : ولكن يخيـل الى أن الرعـد الذى يدوى فى الخارج قد استقر هنا فى قلبى (يلمس قلبه) لماذا ؟ . حلى لى هذا اللغز كما يقول ميكل .

موللى : ان ضغطا جويا منخفضا يقترب من هارتلند . فى الواقع يا حبيبى أنكم تتهموننا بأننا نعتقد فى الأوهام والخرافات ، ولكن الشعب الانجليزى هو أكثر شعوب العـالم ايمانا بهـا فانك لن تستطيع أن ترى سحابا دون أن تفكر فى الخيل

ذات الشعر الأسود ، أو وميضـــا من البرق الفضى دون أن تتخيـل رؤية غراب اســـود يجثم هناك .

جونى : ليس هذا صحيحـا . ولكى أثبت لك ذلك ، هأنا أتخلص فورا من الكآبة التى تضـايقنى بالطريقة المؤكدة الوحيدة (يقبلها)

موللى : ألا زلت مكتئبا ؟

جونى : أجل بالطبع مادام ذلك . هو العلاج (يضحكان)

موللى : هذا أفضل .

جونى : يا حبيبتى ، لم لا تتزوج هنا ... وفى الحـال ؟

موللى : آه ، من المؤكد أنك لا تعـلم صعوبة ذلك فى أيرلندا ، فمن الصعب الحصـول على تصريح بالزواج المختلط فى الظـروف العـادية ... والظروف الآن كما تعلم ليست مواتية . كلا ، دعنا نتمتع بخطبتنا أليس كذلك ؟ لا شك ان لكل مرحلة من الحياة سحرها الخاص بهـا ، وهـذا هو سـحر فترة الخطبـة . فى انجلترا سنتمكن بكل تأكيد من الحصـول على اذن بالزواج .

جونى : أتمنى أن تكونى على صواب فلم يسبق لى أبدا طلب تصريح بالزواج .

موللى : لن يطول بنا الوقت ، يا حبيبى ، حتى يأتى يوم الزواج . ألا تذكر الأغنية ؟ سوف نتطلع الى كاتدرائيتنا الصغيرة ذات العاج المعرج فى قرية بروم ، وننتظر حضور والدك وميكل أيضا . وستشيع فرحتنا الدفء فى المعبد حتى بعد رحيلنا فى سيارة الرولز رويس لقضاء شهر العسل .

جونى : وأين سنقضى شهر العسل ؟

موللى : فى السماء طبعا . فى أى مكان آخر تظن أننا سنقضيه ؟

جونى : كلا ، انى أسألك جادا أين تحبين أن تقضيه ؟

موللى : آه ، انى لم أفكر بعد فى اتخاذ قرار فى هذا الشأن . سأحلم بفينيس وكابرى وباريس ومراكش . سوف أحلم بكل ذلك !

(يسمع قصف الرعد)

جونى : ها قد دوى الرعد . من الأفضل أن نضىء المصباح (يفعل ذلك) . لقد حل الغروب بعد

الغذاء . وهناك شخص ما فى الطرقة الخارجية (يذهب الى النافذة) . شكرا لله ها هو ميكل أخيرا . أوه ، ان توللى هو الذى أعاقه .

موللى : مسكين ميكل . دعنا نقف تحت المظلةونفاجئهما.

توللى : (داخلا) بالله عليك دعنا ندخل . سوف ينزل مطر غزير فقد يشد السلسلة أحد الملائكة فى أية لحظة (فترة انتظار) أوه ، يا عزيزى ، من قال ان الأيرلنديين عندهم روح الفكاهة والدعابة ؟ (يدخل أوريوردن) ما دمنا الآن معا وقد تحررت من مشاكل حربك الصغيرة فى هذه اللحظة فانى أريد أن أتحدث اليك فى أمور هامة . ماذا نفعل بخشب أشجار الزان التى فى الخميلة ؟

أوريوردن : ماذا نفعل به ؟

توللى : أجل . ان الخشب مرتفع الثمن هذه الأيام وليست لهذه الأشجار أية فائدة تبرر الابقاء عليها . انى أقترح أن نقطعها .

اوريوردن : بالله عليك دعها تحيا. ان لدينا من القتل والابادة ما فيه الكفاية دون أن تبدأ أنت الاشتراك فيه .

توللى : فى الواقع يا أوريوردن لقد أصبح من الصعب

أن أتفـاهم معك على الاطلاق . قدم لى سببا واحدا معقولا لعدم قطع هذه الأشجار .

أوريوردن : ان هذه الأشجار جميلة ، وفى هذا الكفاية . هل أنت فى حاجة الى نقود ؟

توللى : كلا

أوريوردن : حسن ، وبعـد !

توللى : ان ادارتك الحكيمة لهذا المكان سر يعجزنى فهمه ومع كل فأنت تقيم هنـا أكثر مما أفعل ولهذا سأبقى على هذه الأشجار ، فما رأيك فى ذلك ؟

أوريوردن : شكرا .

توللى : وهناك الأمر الآخر ...

أوريوردن : ليس الآن ، أستحلفك بالله ليس الآن . أنا آسف... لست فى حالتى الطبيعية ، أرجوك ، ليس الآن !

توللى : أوه ، حسن جدا ، طبعا (فترة صمت)

أوريوردن : ما الذى يجعل الحجرة دافئة هكذا ؟

توللى : لقد أضاء بعضهم المصباح .

أوريوردن : أوه ، وهـل أظلمت الحجرة الى هـذا الحد ؟ سوف يساعد ذلك كللى .

توللى : (من المظلة) ميكل .

اوريوردن : موللى ! هذا ما ظننته .. فان شيئا آخر غير المصباح كان يدفىء الحجرة .

موللى : وشىء آخر غيرى ! قل لهم ياجونى !

اوريوردن : جونى ...

جونى : كلا أخبريهم أنت !

موللى : حسن لن أنتظر المناقشة ياعزيزى ميكل وأنت يامستر توللى ، أرجوكما الصمت لتسمعا الأخبار السارة . أنا وجونى خطيبان (يسود الصمت) وسنتزوج . هل أصابكم البكم أم ماذا؟

توللى : حسن ، حسن ، حسن اننى لم ، اننى لم . هذا جميل . تهانىّ . تمنى أن يؤدى هذا الى تحسن العلاقات بين انجلترا وايرلندا فى المستقبل (يخاطب جونى) انا لم تتقابل من قبل ، أليس كذلك ؟ اننى فرح أن تحدث هذه المناسبة السعيدة فى أول مرة تتقابل فيها .

موللى : حسن . وأنت يا ميكل ، أليس لديك ما تقوله ؟

اوريوردن : أجل ، أجل ...

جونى : لقد أذهله الخبر . هيا يا ميكل ولا تقل لى انك لم تكن تتوقع هذا .

اوريوردن : انني آسف بكل تأكيد يا جوني . انني ... انني مريض هذا كل مافي الأمر .

موللي : ميكل ! ...

اوريوردن : هنـاك أخبار سيئة عن بعض أصـدقاء أعزاء قتلوا وعن آخرين في خطر داهم . انني فرح بالطبع ، ليباركككما الله .

موللي : كلنا أسف لمتاعبك يا ميكل وتتمنى أن نشاطرك اياها .

اوريوردن : من فضلك يا جوني ، هل يمكنني التحدث اليك؟

جوني : تفضل . قل ما بدالك .

اوريوردن : كلا ، انى أريد التحدث اليك وحدك ياجوني هل تسمح يامستر توللي بتوصيل موللي الى مكان آمن ؟ سيطلق الرصاص هنـا عما قريب أرجوك .

توللي : أوه أيها العزيز . هل سيحدث هذا حقيقـة ؟ وهل تأمن على خطيبتك معى أيها الكابتن ؟

جوني : أجل انى أعهد بها اليك .

موللي : سنتقابل عما قريب يا حبيبى . سننتظر في الحجرة المستديرة . الى اللقاء أيها العزيز ميكل .

(تخرج مولى مع تولى)

أوريوردن : هل انصرفا ؟

جونى : أجل . ما الخبر ياميكل ؟ هل فى امكانى مساعدتك ؟

أوريوردن : أوه . رحماك يا ربى ...

جونى : ما الخبر يا ميكل ؟ قل لى .

أوريوردن : لقد أعيانى الجهد للوصول الى مخرج من المأزق الذى نحن فيه . اصغ الى يا جونى . بعد ما أخبرتنى به عنك وعن موللى لا أجد أمامى الا طريقا واحدا . طريقا واحدا فقط . ويجب أن تعدنى يا جونى بأنك ستسلكه ، عدنى بذلك .

جونى : أى مأزق تعنى ؟انى لأفعل من أجلك أى شىء فى الوجود . ما عليك الا أن تأمر .

أوريوردن : يجب أن ترحل من هنا الآن ... فى هذه اللحظة ... وتهرب الى الحدود . خذ أسرع حصان ... خذ «مايف» فهو قوى نشيط ، واتجه غربا الى بالليجينى ثم شمالا الى بلفاست ...

جونى : ولكن ، ميكل ... لماذا ... ؟

اوريوردن : استحلفك بالله ياجـونى لا تسألنى ، ولـكن اذهب . يمكنك أن تترك الجواد فى أى حظيرة، ثم اخبرنى بالبريد عن مكانه . سأسترجعه .

جونى : ميكل ، انتظر . انك لا تتحدث بعقل . لاتتوقع منى أن أهرب هكذا دون أن توضح لى الأمر أكثر من ذلك . لماذا أسافر ؟ ومتى أعود ؟ أهى مهمة لا يمكن لغيرى أن يقوم بها ؟ ألها علاقة بالحرب ؟ أم ماذا ؟

اوريوردن : قل لى ، هل تثق بى ؟

جونى : طبعـا .

اوريوردن : اذن فلتسافر فى الحال ولا تسألنى ... كم الساعة الآن ؟

جونى : الساعة الثالثة اذا كانت هذه الساعة القديمـة مضبوطـة .

اوريوردن : فى الحال اذن ... فى الحـال . يا الهى لِم لم أتمكن من اخبارك قبـل ذلك ؟ أية قيمة بالله ليمين الشرف مادامت حياة صديق فى خطر ؟ لست أدرى ، لست أدرى أى شىء . لقـد ضللت طريقى بكل تأكيد .

جونى : حياة صديق ؟ ميكل ، ماذا تقصد ؟

أوربوردن : ألم تقل أنك تثق بى ... ؟

جونى : أجل ، أثق بك .

أوربوردن : اذن ضع السرج على الجواد واذهب . ابق فى بلفاست ، بل وأفضل لك أن تبقى فى انجلترا حتى تنتهى كل هذه المتاعب .

جونى : أنا آسف ، يا ميكل ، انك لست فى حالتك الطبيعية . يجب أن أعلم أكثر من ذلك ، وبصرف النظر عن أى شىء آخر لقد أعطيت كلمة شرف ... وانت تعلم أننى لن أكسرها .

أوربوردن : كلمة شرف منك ! انها لن تساوى قلامة ظفر فى نظرى ، ويجب أن تكون كذلك فى نظرك ... ليس الآن !

جونى : ولكن يجب على أن أحترم كلمتى . لقد ربيت على ذلك ، ولن يحملنى شىء فيما أعلم على أن أكسر كلمتى .

أوربوردن : اصغ الى ، هل تريد أن تكون موللى سعيدة ؟

جونى : انك تعلم جواب هذا السؤال .

أوربوردن : اذن فلتصدقنى يا جونى . اذا كنت لا تريد

كسر قلبها الى الأبد فافعل ما أقوله لك .

جونى : ميكل . لن أزحزح قدمى من هنا حتى تخبرنى ما معنى كل هذا .

أوريوردن : انك تضيع الوقت ، يا جونى ... يا له من وقت ثمين ...

جونى : لن أتحرك من هنا يا ميكل حتى تخبرنى ماذا تقصد بذلك .

(فترة صمت)

أوريوردن : معناه ان حياتك فى خطر . معنـاه انك ان لم تهرب الآن فورا فستلاقى حتفك خلال ثلاثة أيام . معناه ان الحقـد الأعمى الذى تسببه الحرب قد أوقع بنا نحن الاثنين فى حبائله . معناه اننى سوف أحنث بيمينى الذى أقسمته للجيش وأن تكسر انت كلمـة الشرف التى أعطيتنى اياها لننقذ ثلاثة قلوب من أن تتحطم الى الأبد . هذا هو ما أعنيه . بالله عليك ألم تدرك حتى الآن لماذا يجب عليك أن تركب الى الحدود بأقصى سرعة ممكنة للجواد مايف ؟

جونى : ولكننى أسير حرب فكيف يمكن أن أكون فى خطر ؟

اوريوردن : للثأر يا جونى ، لمجرد أخذ الثأر . ان الثأر أشنع كلمة فى قاموس الحرب القبيح . لقد أطلق جنود التان الرصاص على ثلاثة ضباط ايرلنديين ولهذا اختير ثلاثة ضباط من الأسرى البريطانيين بالاقتراع ليلحقوا بهم

جونى : وهل تقصد بذلك أن اسمى ... ؟

اوريوردن : أجل ، اسمك . أواه ، يا ربى لم يعجز الناس عن حب بعضهم لبعض ؟ ان الانسان ليبتعد عن ربه اذا حمله الحقد على أن يخز غيره بدبوس أكثر ممن يقضى حياته كلها يرتكب الخطايا بدافع من الشفقة والمحبة ! والآن أيها العزيز جونى ، ألا تذهب . وليصحبك حبى وحب موللى فى رحلتك فيعجل لك الرحيل ؟

(صوت رعد)

جونى : أنا ... أنا لن أهرب يا ميكل . سوف لا ينفذون وعيدهم .

اوريوردن : سينفذه كللى . اننى أعرفه منذ سنين طويلة

وأعرف أن كللى سينفذ . لهذا يجب أن تذهب قبل أن يبدأ القتال . ألا تفهم ؟ انى واثق من رجوعه كما أثق فى قدوم الليل . ان قتل سين كللى يتطلب أكثر من رصـــاصة يطلقها جنود التان .

جونى : كلا يا ميكل . لا يمكننى أن أهرب . يجب أن أقاوم . سأقابل كللى عندما يرجع وسأجد حلا معـــه ...

أوريوردن : جونى انك غبى ، أحمق .

جونى : واذا هربت ، ألا يخزون اسما آخرا بدلا منى ؟ (صمت) أليس كذلك ؟ (صـــمت) كلا ، لا يمكننى الهروب .

(رعد ... تبدأ الطلقـــات ... ثم وابل من طلقات البنادق)

أوريوردن : يا الهى ، لقد بدأ القتال ! لقـــد فات الوقت الآن ! أو ، لماذا لم أخبرك فى الحال . لقـــد ضاعت منا أفضل فرصة . لقد أفلتت منا ...

جونى : ما كان هذا ليغير من الأمر شيئا ، يا ميكل ، لا تلم نفسك فأن الأمر سيان عندى .

أوريوردن : سنجد طريقة يا جونى ... سنجد طريقة . سوف لا أدع هذا الأمر يحدث حتى لو كان فى ذلك هلاكى . انك مازلت فى عهدتى ، أذكر ذلك ... سنجد طريقة . ألا تذهب الآن لتطمئن على سلامة موللى ؟ ان قنطرة جلاسفنت حيث أعدوا الكمين على مسافة من هنا تقل عن مرمى البندقية .

جونى : وهل ستأتى معى ؟

أوريوردن : كلا ، سأبقى هنا . أفضل ذأ أبقى بمفردى . اذهب يا جونى وليساعدنا الله حتى نجد طريقنا خلال هذا الظلام .

(يذهب جونى ـ يطلق وابل آخر من الرصاص . يذهب أوريوردن الى النافذة وينتست . وعندما يستمر اطلاق النار يجلس بجانب قيثارته ويعزف ـ ثم يكف عن العزف ويسنمع ثم يستمر فى العزف ـ يكف عن العزف ثانية عندما يسمع وقع أقدام فى الخارج) .

جندى النان الاول : (من الخارج) انه كمين دنىء اسرع بنا الى الداخل .

(يدخل جنديان .. الأول صغير منحرف والثانى آفاق)

جندى الثانى : أين هو ، اه ؟

جندى الثانى الأول : عند الفطرة . ان الميزة الوحيدة لكونك كشافا يا بنى هى أنه فى الوقت الذى يكون فيه الجيش فى كمين تكون أنت فى مكان آخر . أدخل من هذه النافذة وسأدخل أنا من هذه . (يرى أوريوردن) حسن ، ان الله قد أنعم علينا بيوم مشرق . من تظنه معنا هنا ؟ غير مسلح اطلاقا الا من قيثارته الصغيرة .

جندى الثانى : من هو ، اه ؟

جندى الثانى الأول : لا تقل انك لم تتعرف على هذا الوجه ! ألم تره فى الاعلانات الكبيرة ؟ مكافأة ... لمن يقبض عليه حيا أو ميتا ... صوب بندقيتك نحوه يا بنى ، انه واحد من النمور .

جندى الثانى : كلا ، من هو ؟ أن الاعلانات الكبيرة تبدو متشابهة لى .

جندى الثانى الأول : انه ميكل أوريوردن العظيم ، وحيدا بمفرده ، يحرس مقر القيادة بقيثارة محشوة .

جندى التان الثانى : أوريوردن ؟ لعلك لا تقصد بذلك ... ؟

جندى التان الاول : لم أقصد ذلك، ماذا تفعل هنا يا سيد أوريوردن بعيدا عن المعركة ؟ هل تشكو صداعا خفيفا ؟ (سكوت . خلال هذا المنظر يظل أوريوردن جالسا مثل مدفع الميدان المحشو) أليس لديك شيء تقوله قبل أن تلحق بامبمت وبارنل ، أوليرى ؟ (يقترب منه) يالله ! (يحرك يده بسرعة أمام أعين أوريوردن) يا له من حظ سعيد ! أنظر يا بنى ، انه أعمى !

جندى التان الثانى : انه حظ سعيد بالطبع . يمكننا أن نتركه ، اه ؟ سألقى نظرة من النافذة .

جندى التان الاول : حيا أو ميتا ، هل نسيت الاعلانات يا بنى ؟

جندى التان الثانى : انك لن تقتل رجلا أعمى ، أليس كذلك ؟

جندى التان الاول : أوه ، ولكن بالطبع يا ولدى سيكون ذلك لمجرد الشفقة عليه (يخاطب أوريوردن) انك لا ترغب فى أن تقضى طول حياتك متعثرا ، مجرد عبء على أصدقائك، أليس كذلك يا سيد أوريوردن؟ (سكوت) هأنت ترى ياولدى أننا سنؤدى له خدمة ... وبالطبع سنخدم أنفسنا ، وفى هذا

خير للجميع . قم الآن بالحراسة وأرقب الطريق الخارجي وتأكد من أن لحظات المستر أوريوردن الأخيرة فى الحياة لن يزعجه فيها أحد . (يخاطب أوريوردن) أعتذر اليك عن اطلاق كل هـذا الرصاص . ان الرجل المحظوظ هو الذى يلقى موتا هادئا .

جندى التان الثانى : أقتله الآن بسرعة ، اذا كنت تنوى قتله

جندى التان الاول : لا تتسرد يا بنى ، انى أكره أن أذكرك بأنى ضابطك الأعلى . وبعدما سببه لنا أوريوردن من متاعب ، أظنه لا يتوقع موتا سريعا سهلا . ... أليس كذلك ؟ لن يكون هـذا عدلا وأنا حريص على العدالة ، كما أنه ليس من شك فى أن المستر أوريوردن كاثوليكى ؟ وانى لأتساءل متى تقدم آخر مرة للاعتراف ؟ سوف يحتاج الى دقيقة أو دقيقتين يحاول فيها نوعا من الندم والتوبة . ربما ؟ وربما هو يشعر بالأمن ، وقد يرحب بتجربة مثيرة أو تجربتين فى آخر حياته لمجرد أن يثبت لنا قوته . دعنى أتبين ذلك ... ما هى السبع خطايا المميتة ؟ أليست الكبرياء

أولها ؟ (يصفع أوريوردن بنذالة على وجهه)
تنبأ لنا يا أوريوردن ، من الذى لطمك ؟

جندى الثانى : كفى ، يجب أن نشترك فى القتال ؟

جندى الثانى الأول : كلا ، كلا ، اننا أعظم نفعا ونحن أحياء . ما أحببت الضجيج قط (سكوت) اذن فالمستر أوريوردن ليس لديه ما يقوله . ولا كلمة واحدة . لا شىء بخصوص ارين ، كائنين فى هوليهان ولا العلم الأخضر ؟ (يسمع دوى الرعد) ما الذى يقوله الرعد ؟ انه لا يحمل رسالة منك . حسن ، حسن ان لكل شىء جميل نهاية والحياة ، كما يقول البعض ، شىء جميل .

جندى الثانى الثانى : استحلفك بالله دعنا نخرج من هنا . لقد وقف ضرب النار ... وسوف يعودون .

جندى الثانى الأول : سوف يعودون فعلا . من الأفضل ألا نستعمل البندقية — انها تحدث ضوضاء . ان استخدام الصلب البارد أفضل وأقدر على القاء الرعب فى القلوب ، ألا توافقنى على ذلك أيها السيد أوريوردن ؟ (يضع حد السكين على رقبة أوريوردن) إن السلاح الأبيض يوقع رعبا أشداً .

(تنبعث من أوريوردن صرخة عظيمة ثم يميل الى جانب ويمسك بذراعه ، وبحركة مصارع مفاجئة يرفع التان من فوق رأسه ثم يلقى به الى الأرض فينطرح على ظهره فوق المائدة مبعثرا كواكب شمس من الملاعق)

جندى التان الثانى : (يهجم على أوريوردن ويقعان معا فوق أرض الحجرة) ... (ينهض التان الأول واقفا على قدميه) .

جندى التان الأول : امسكه يابنى . استمر فى الامساك به حتى أقتله

(يظهر جونى راكضا على السلم والبندقية فى يده)

جونى : ابقوا حيث أنتم وارجعوا الى الخلف حتى الحائط .

(يتقهقر التان الأول ثم ينهض التان الثانى ويتقهقر معه . ينهض أوريوردن ويتحسس طريقه)

جونى : حسن . اثبت فى مكانك يا أوريوردن . (يذهب الى أوريوردن ويجلسه فى مقعد وهو لا يزال مصوبا البندقية الى التان) شكرا لله فقد سمعت القرقعة . من أين أتى هذان السفاحان ؟

أوريوردن : لست أدرى شيئا .

جندى التان الاول : انك ضابط بريطانى ؟ والا فلماذا ترتدى هذه الملابس ؟

جونى : انى كذلك .

جندى التان الاول : حسن ، ان هذا من حسن حظنا . هيا يا ولدى ودعنا ننصرف .

جونى : بل ابقوا حيث أنتم وارفعوا أيديكم .

جندى التان الاول : هل انحزت الى جانب الأعداء ؟

جونى : ليس لى من أعداء الآن الا أنتم واشباهكم .

جندى التان الاول : حسن لقد أرسلنا الى هنا والله لنساعدكم على أداء مهمتكم ، فدعنا ننصرف . سيعودون الى هنا فى أية لحظة .

جونى : ابقوا حيث انتم (يلقيان بسيفيهما) حسن ماذا تريد أن أفعل بهما يا أوريوردن ؟ انهما أسيراك.

أوريوردن : لست أدرى على وجه التحديد . ماذا أريد بهما ؟ ان بضع دقائق فى صحبتهما كمدى الحياة تقريبا .

جونى : لا فائدة من تركهما أسرى بضمان كلمة الشرف.

جندى التان الاول : لم لا تجرب ذلك . انك لن تظل تصوب هذه

البندقية الينا الى الأبد أليس كذلك ؟

جندى الثانى الثانى : سوف يرجعون يا صاحبى ولعلك لا تنوى تسليمنا الى كللى أليس كذلك ؟

أوريوردن : ومن قال لكما ان كللى هنا ؟

جندى الثانى الأول : ان العصافير فى جانبنا أيها السيد أوريوردن .

أوريوردن : يا الهى ، ألا يمكننا أن نحتفظ بسر ! دع الريح تهب فوق رؤوسنا وسيعرف الناس الوقت بواسطة أفكارنا البيضاء التى يدفعها الريح أمامه .

جونى : حسن يا أوريوردن ، ماذا سنفعل بهما ؟ انها مشكلة معقدة فى الواقع .

جندى الثانى الأول : ليست هناك أية مشكلة على الاطلاق . دعنا نتصرف . لا يمكن أن نكون أسرى المستر أوريوردن فهو لم يعد جنديا الآن،كما لا يمكن أن نكون أسراك لأنك من جيشنا وفى جانبنا

جندى الثانى الثانى : هلم أيها الصاحب فسوف يرجعون .

أوريوردن : دعهما يذهبان . دعهما يذهبان . افتح الأقفاص كلها ، فحتى الصقور لها حق التمتع بالفضاء . اهربا .

كللى : (من الخارج) ميكل !

جندى الثان الاول : هيا يا ولدى ، سر فى طريقنا (يسمع وقع أقدام كللى فى الخارج) ما هذا ؟ الى الباب الآخر . أسرع .

كللى : (داخلا بسرعة فيرى التان) ما هذا بحق السماء ... فليقف كل منكما ثابتا فى مكانه (يصوب اليهما بندقيته) وكيف أمكنهما الافلات من شباكى ؟

أوريوردن : انهما من فرق الكشافة . لقد سمعتهما يقولان ذلك . لا بد أنهما عبرا النهر عن طريق المخاضة القديمة .

كللى : (مناديا) سكانلون !

سكانلون : (من بعيد) ها أنا قادم يا سيدى !

كللى : عن أى موضوع كنتم تتحدثون عندما كنت أنا فى الخارج ؟ من كان فى جانب من ؟

أوريوردن : لقد أنقذ جونى حياتى .

كللى : (ببرود) اذن لقد سبقنى كابتن تريجارثن الى انقاذك ، أليس كذلك ؟ يبدو أن ولاءه مختلط .

جونى : لقد أعطيت كلمة شرف بأن أبقى أسيرا هنا ،

ومعنى هذا أنه لا يمكن أن أقاتل ضدكم .

كللى : وهل لا يعنى اليمين الذى أقسمته لجيشكم أنه لا يمكنك أن تقاتل فى صفوفنا ؟

جونى : هل كنت تفضل أن أدع أوريوردن يقتل ؟ (يثير هذا الرد حنق كللى وغضبه ... يدخل سكانلون) .

كللى : طائران شريدان . خذهما وضعهما فى قفص .

سكانلون : يا الهى ! كيف تمكنا من الوصول الى هنا ؟

كللى : ترى ، هل يمكنك اطاعة أمر دون توجيه أسئلة؟

سكانلون : آسف يا سيدى . ولكنهم رجعوا الآن بجثة كِفن بيرن من الجانب الآخر من القنطرة . لقد كان الآب جون بجانبه عندما أسلم الروح .

(يقف كللى جامدا ، وقد كاد ينفجر من الغيظ)

اوريوردن : (متمتما) كِفن ... فليهب الله الراحة لنفسه .

كللى : خذ هذين الاثنين الى الكوخ . سوف أحضر لاستجوابهما .

سكانلون : فى الحال يا سيدى ، خذا هذا الطريق أنتما الاثنين .

(يخرج سكانلون والجنديان)

سكانلون : (من الخـارج) هاى ديرموت ، ساعدنى فى حراسة هذين الجنديين .

ديرموت : (من الخارج) سآتى اليك حالا .

كللى : (مخاطبا جونى) هل أخبرك القائد أوريوردن عن مصيرك ؟

جونى : لقد قال لى ...

كللى : حسن .

جونى : ولكن لا يمكن أن أصدق أن الايرلنديين يقتلون أسرى الحرب .

كللى : آسف لأن ثقتك فى غير محلها . لك أن تسمى ذلك قتلا اذا كان فى هذا بعض العزاء لك . سيكون موعد التنفيذ بعد غد : السبت ، فى الساعة السادسة صباحا ، ومكانه هنا . هل هذا مفهوم ؟

جونى : (يومىء برأسه) أجل .

كللى : سأتخذ بنفسى كل الترتيبات يا ميكل ، فلا حاجة لأن تشغل نفسك بهذا الأمر ، وفى الوقت نفسه سيبقى كابتن ترجارثن أسيرك .

أوريوردن : ســين ..

كللى : علىّ الآن أن أستجوب صديقى (الكابتن) ثم أرفع تقريرى الى هيئة القيادة . لقد أحرزنا نجاحا فيما أظن ، ولكننى أخشى ألا تعتبره زوجة كِفن برن كذلك .

(أثناء الأحاديث القليلة الأخيرة تدخل موللى الى قمة السلم . عندما يستدير تولى يراها . ينظران الى بعضهما لحظـــة ثم يخرج كللى بسرعة)

موللى : ميكل ، عزيزى ...

أوريوردن : موللى ...

جونى . موللى ، لقد قلت لك ألا تتبعينى .

موللى : ميكل ، هل هذا صحيح ؟ يا الهى ، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا !

أوريوردن : جونى ، ألم تخبرها ؟

جونى : كان على أن ...

موللى : بالتأكيد ، لقد كان عليه أن يخبرنى بالطبع . لقد أدركت أن شيئا فظيعا كان يهددنا جميعا عندما أبعدتنى . ماذا نستطيع أن نفعل يا ميكل ؟ أليس كللى صديقك ؟ ألا يفعل ما تطلبه منه ؟

أوريوردن : أجل انى سين كللى صـــديقى ، وانه ليفعل أى شيء فى العالم من أجلى لو أن الأمر يخصـــه وحده . ولكنى أؤكد له أنه لا يقدر على تغيير هذه الأوامر ، أو على الأقل هذا ما سوف يقوله .

موللى : ولكنك اذا طلبت منه ...

أوريوردن : كلا ، يا موللى ، انى أعرف ما سيقوله : « اترك الأمر لى يا ميكل ، ولا تزعج نفسك » لقد كان عنده دائما هذا الاحساس الواقى الغريب طول مدة الحرب وهو الآن أسوأ بالطبع ، انه ليعرف ما يجب عمـــله فيعمله دون أن يحملنى عبئه . ان شفقته هذه ستقضى علينا جميعا .

موللى : اذن فماذا سنفعل ؟

أوريوردن : علينا أن نجد الجواب على هذا السؤال بأنفسنا . يجب أن نمهد لجونى أسباب الفرار فيما بيننا .

جونى : ولكنك يا ميكل قد سمعت ما قاله كللى . انى أسيرك ، ولا زالت كلمة الشرف تقيدنى . لابد أن يكون هناك استئناف لهذا القرار ؟

أوريوردن : بالله عليك انس كلمة الشرف . انك لن تستطيع أن تترك هـــذا النسيج من الكلام يوقـــع بك

كالذبابة ويقتلك . أما عن الاستئناف فيمكننى أن أقول لك انه مضيعة للوقت ، فان قتل ميجل ، وأوشيا وكيو سيجعل الجيش يغلى من الغيظ عدة أسابيع . لن يقدر أحد على مساعدتنا سوى أنفسنا .

موللى : جونى ، لا تكن أحمق يا حبيبى . أليست كلمة شرفك معطاة لميكل ؟ فى امكانه أن يردها اليك ثانية .

اوريوردن : وها أنا أفعل . ولتكن هـذه أول هـدية زواج لكما .

جونى : ولكن ، ما مصير الاسم الثالث يا ميكل ؟ ان لم يكن اسمى فسيكون اسما آخر لشخص سواى.

اوريوردن : جونى ، انك لن تعرض نفسك للقتل لمجرد أن شخصا آخر قد يموت ان لم تمت أنت . ليس هذا فى أيدينا . كل ما يمكننا عمله هو أن نضرع الى الله سبحانه وتعالى حتى لا يقاسى أى شخص آخر . ان سلامتك وحياتك وحبك هى التى فى أيدينا فلنكف عن الحديث ، والا فان فى الحديث هلاكنا جميعا .

جونى : انت تعلم يا ميكل أن الأمر ليس بهذه السهولة ، وانى أعرف تماما ماذا كنت تفعل لو كنت فى موقفى .

أوريوردن : كنت قد فررت بكل تأكيد الآن .

جونى : ما كنت تفعل ذلك ، بل كنت تتصرف كما أتصرف . انى أعرفك يا ميكل . انك لتفخر بأن كلمة الشرف التى تقطعها على نفسك تربطك برباط أقوى من القضبان الحديدية . قد تهرب من سجن ، ولكنك لن تهرب من كلمتك ، أليس كذلك ؟

أوريوردن : بالله يا جونى، من تظننى؟ أقسم بالله ، كنت أركب نحو الحدود ، ولتنزل علىّ اللعنة اذا ما حاول أحد أن يمنعنى من الهروب .

موللى : لقد كنت أفكر فى مختلف الطرق والوسائل بينما كنتما تتحدثان . والآن استمعا الى . لا جدال فى أننى وجونى سنرحل الآن الى انجلترا .

جونى : موللى ...

موللى : والمشكلة الوحيدة هى : ما هى أحسن الطرق لتحقيق ذلك ؟ (تخاطب جونى) اننا نقفز بعيدا

اذا اقتلعت الريح شجرة فوق رؤوسنا ، وهذا هو موقفنا الآن تماما دون أى فارق . ميكل ، كيف يمكننا أن نهرب ؟ هل فى الامكان أن يركب جونى ويرحل فى الحال ؟

جونى : ليس الآن ، فلقد وضعت الاسطبلات تحت الحراسة منذ أن بدأ القتال ، ولا يزال بعض جنود النان فى هذه الأنحاء .

موللى : هل يمكنه السفر بالقطار ؟

اوريوردن : أخشى أن تكون المحطة مراقبة أيضا .

موللى : ألا يمكنه ركوب القطار عند المنحدر ، حيث يبطىء ، كما تعلم ، على مسافة قصيرة من المحطة؟

اوريوردن : يمكنه ذلك ...

موللى : ان قطار البضاعة ، يا ميكل ، يمر غدا صباحا فى الساعة السادسة ، « وتيم » العجوز ، حارس القطار ، يعرفنى منذ بدأت أتعلم السير على قدمى ، وسيفعل أى شىء من أجلى . استمع الى ما سأقوله لك يا جونى . سأسافر جنوبا الى كاستلدون بقطار المساء لأقابل « تيم » العجوز وأخبره بأنى سأسافر شمالا معه فى قطار الصباح

كما سأخبره بكل ما يحتاج الى معرفته منى .

جونى : يا لك من حبيبة .

موللى : أما أنت يا جونى فيمكنك أن تلحق بنا عند المنحدر خلف المحطة فى الساعة السادسة من صباح غد . سأحمل السائق — وهو « بارنى دونان » زميل « تيم » — على أن يبطىء من سرعة القطار عند المنحدر حتى تهبط الى سرعة السير على الأقدام . قد يكلفنى ذلك بعض المال.

أوريوردن : آه ، بكل تأكيد ، فان نصف ريال فى جيبه سوف يخرس ضميره .

موللى : وسأعطيك اشارة يا جونى ، لأخبرك بأن كل شىء على ما يرام وبأننى فى القطار . سنجعل الاشارة ثلاث صفارات ، وعليك فور سماعها أن تقفز الى عربة الحارس وستجد « تيم » قد أعد فنجانا من الشاى لك ولى .

أوريوردن : هذه خطة حكيمة وسأهتم بتنفيذها . سوف أكتشف بكل حيطة وحذر من سيكون قائما على الحراسة من الجنود فى الوقت الذى يتعين فيه على جونى أن يسافر ، وسأعمل على ابعاده .

فان كان الحـارس « ديرموث فون » سار كل شيء على ما يرام وأظن أنه هو القـــائم على الحراسة فقد سمعته يشكو من الحراســة فى الفجر . واذا لزم الأمر فسأســتخدم نفـوذى وسلطتى ، ولكنى سأحاول ألا نقابل أحــدا . سيكون « سين كللى » مسافرا ؛ فسيسافر اليوم الى مقر القيادة ليقدم تقريره ولن يعود — مهما كانت الظروف قبل ظهر الغد ، وستكون أنت وقتئذ قد قاربت الوصول الى بلفاست .

لابد أن شيئا قد حدث لى ... انى أتكلم عن بلفاست بكل حنان وشفقة !

موللى : (ضاحكة فى عصبية) فليباركك الله يا ميكل ، ليباركك الله . أوه ، لقد بدا العالم يصــفو فى ناظرى من جديد ! انى لأضرع الى الله أن تسرع الأرض فى دورانها حتى يأتى الغد فى وقت قريب !

أوريوردن : قد تعلمين أنه يخيل الى فى بعض الأحيان وأنا غارق فى الظلمة المحيطة بى أن فى امكانى أن أرفع ذراعى الى فوق وأن أقرأ النجوم كما لو كانت صفحــة مكتوبة بطريقــة برايل وأعرف منها

المستقبل . هل أحاول الآن أن أقرأ لكما المستقبل ؟

موللى : أجل ، افعل !

أوريوردن : لا يمكننى الوصول اليها .

(يضحكون . يسقط أوريوردن يديه ويمسك بملعقة باقية على المنضدة ويلعب بها بين أصابعه دون اهتمام)

موللى : حسن . ما بالك واجما هكذا يا جونى ؟ استيقظ يا حبيبى ، انتعش واستقبل الحياة .

جونى : مايكل ، ماذا يمكننى أن أفعل ؟ اننى ... اننى لا زلت مهموما بسبب ذلك الاسم الثالث . وهل لا يوقعك هروبى فى مشاكل خطيرة ؟

أوريوردن : يا للقديسين ! هل أنت مجنون أيها الرجل ، أم ماذا ؟ أؤكد لك أن بقاءك هنا هو الانتحار بعينه، فاذا كنت تريد الموت فانتظر حتى يرجع «سين» ، أما اذا كنت ترغب فى الحياة فسافر ! انى آسف يا جونى ، وأقدر حقيقة مشاعرك ، نعم فأنا نفسى أحس بالشعور نفسه . ولكن يمكنك أن تراهن بآخر ما تملكه على أننى كنت أقنع نفسى

بوجوب السفر ! هلم اذن يا جـونى ونفـذ ما نشير به عليك . اسـبح مع التيـار ، أيهـا الرجل لن يصيبنى مكروه عندما تذهب ؛ لهذا لا تبتئس .

موللى : جونى ، حبيبى ، هذه هى الخدمة الوحيدة التى سأطلبها منك طول عمرنا . الحق بالقطار ياحبيبى أرجوك اركب القطار.

جونى : (بعد برهة وفى تعاسة) فليكن .

أوريوردن : حسن ، لا شىء يجعل الانسان تعسا مثل الأخبار الطيبة ! هيا يا موللى وأحضرى لنا شـيئا من المشروب الذى يضـعه توللى فى الـدولاب . سنشرب نخب أنفسنا وندخل السرور الى قلب جونى .

موللى : سنفعل ذلك (تحضر المشروب والكئوس) هيا يا جونى ، ان هذا سيشرح صدرك . لن تفشل خطتنا بعد الآن . ألست أنت الضابط العظيم يا ميكل عندما يكون « كللى » غائبا ؟

أوريوردن : أجـل .

موللى : حسن ، فلن نخشى شـيئا اذن . هيـا ياميكل

(تعطيه كأسا) ، لنشرب نخب الغد ونخب قطار البضائع الذاهب الى بلفاست . (يشربون) .

أوريوردن : آه ، بالتأكيد ، هذا حسن . ان توللى الصغير له ذوق فى اختيار المشروب ، هذا حق ، . اعطنى كأسا أخرى (تصب له موللى كأسا) وهـذا نخب قارب البريد من بلفاست الى ليفربول . (يشربون) .

موللى : ألا تشعر بأنك أحسن حالا الآن ، يا جونى ؟

جونى : انى أشعر كما لو كانت رأسى ترتفع فوق كتفى بثلاثة أقـدام . أى نوع من المشروب فى تلك الزجاجة ؟

أوريوردن : مجرد ويسكى أيرلندى جيد . اعطه كأسا أخرى .

جونى : وهذا نخب المزرعة التى فوق « تلال بروم » .

موللى : أجل .

أوريوردن : المزرعة التى ستصبح موطنا لكما ، أليس كذلك؟ حسن فليهبها الله حبا عظيما وبهجة . (يشربون) هل تعرف أنه لم يسبق لى أبدا أن ثملت فى مثل هذا الوقت القصير ؟ ان الويسكى والاستثارة

كفيلان بأن يذهبا بأفضلنا الى ما تحت المنضدة .
بالله اننى لم أتناول طعام الغداء بعد ! حسن ، علينا أن ننصرف (يجرع باقى الكأس ويغنى بسرعة كبيرة مقطعا من أغنية «ذى بالنتين دوثر» ثم يتوقف فجأة) لابد أن نكون قد جننا والله ! ان « سين » سوف يعود . اختفيا عن الأنظار ، وابعدى هذه الخمر من هنا . (تفعل موللى ذلك) انه لتصرف عجيب من أمثالنا . موللى يحسن بك أن تعدى العربة حتى تلحقى بالقطار، ولا تدعى « سين » يراك مع جونى .

حوللى : سوف لا ندعه يرانا . من الأفضل أن نودع بعضنا الآن . أراك بخير أيها العزيز ميكل ، وأشكر لك كل ما فعلت من أجلنا . (تقبله فى خفة . ثم تخاطب جونى) حتى صباح الغد يا أعز مخلوق لدى . ان صفارات القطار الثلاث ستظل تدوى فى آذاننا ، كرمز للخلاص العظيم ، حتى يوم وفاتنا . فليباركك الله ، يا حبيبى ، وأرجوك الاهتمام بنفسك .

جونى : سأفعل ذلك (يقبلان بعضهما) .

موللى : سوف نردد هذه الكلمات بمعنى آخر فى وقت قريب . (تذهب الى الباب) سيعود « تِم » بالعربة عندما يتحرك بى القطار . (تجرى فجأة نحو جونى — تقبله قبلة طويلة يائسة — ثم تركض خارجة) .

(يرقبها جونى من النافذة ... فترة صمت . ثم يجلس حزينا وفجأة يضع رأسه بين يديه)

جونى : يا له من وقت طويل .

أوريوردن : انها ليلة قصيرة فقط .

جونى : ساعدنى على أن أكف عن التفكير يا ميكل والا فلست مسئولا عما أفعل . انى لم أشعر بمثل هذا الخوف فى حياتى .

أوريوردن : لا تزعج نفسك الآن وسأخبرك بما سنفعل . تعال ونم على الأريكة فى حجرتى الليلة . سننام بالدور ونقوم على الحراسة بالتناوب حتى منتصف الساعة الخامسة ، وبعدها سأدبر أمر خروجك سالما من الأبواب ثم تصبح حرا طليقا . انه لأمر فى منتهى البساطة . سيكون « كللى » غائبا ولن يعود حتى وقت الظهيرة ، وفى هذا

الوقت تكون قد اجتزت وادى الظلال . هيا بنا نلعب الشطرنج لنقتل الوقت .

جونى : أجل دعنا نفعل ذلك . انى خائف يا ميكل . أشعر بخوف مبهم . ان قلبى يدق كالمطرقة وتسرى البرودة فى جسدى كله ... رحماك يا ربى !

أوريوردن : لا تعذب نفسك . سنضحك من كل ذلك غدا عندما تصبح رجلا آخرا تماما . سيهدىء الزمن من روعك ، عليك أن تجلس ساكنا وأن تدع الساعات تمر عليك فى سهولة ويسر وسيطلع علينا الصباح قبل أن ننتبه الى ذلك ، والأجدر بك أن تختفى الآن حتى يسافر كللى وهو على وشك الرحيل . اذهب الى حجرتى ، وسألحق بك هناك فمن الأفضل ألا يرانا أحد نتحدث معا . يخيل الى أنى أسمع « كللى » يعود الينا ... عجل بالانصراف .

جونى : آسف لازعاجك .

أوريوردن : هيا ، ابتعد ، اسرع .

(يصعد جونى الى فوق ... يجلس ميكل هادئا ... يدخل كللى وسكانلون) .

كللى : ان أصغر ضيفيك يا ميكل رجل مُنفر جدا .

أوريوردن : انه كذلك .

كللى : ولم يكن أكثر لطفا عندما تركته . أوه ، لقد كان ذليلا الى حد ما . أما الضيف الآخر فكان غبيا بليدا .

سكانلون : آه ، لقد كانا زوجا من الوثنيين ، اثنين من عَبَدة الأصنام .

كللى : (يشاهد كللى الكئوس على الدولاب ويرى فى احداها بعض الويسكى) أتشرب الخمر فى هذه الساعة المبكرة من النهار يا ميكل ؟

أوريوردن : حسن ، ان هجوم التتار قد أفزعنى .

كللى : وهل تركت هذا الكأس ملآنا من أجلى ؟ . هذا كرم منك . ليباركنا الله (يشرب الكأس) سأسافر فى الساعة الخامسة يا ميكل وسأعود غدا .

أوريوردن : وهل ستقابل القائد العام ؟

كللى : سيكون هناك طبعا ، وسأقابله .

أوريوردن : هل تسمح بأدية خدمة من أجلى اذن ؟

كللى : سأفعل طبعا ، أية خدمة ؟

أوريوردن : أطلب منه العفو عن جونى .

كللى : سأطلب منه ذلك ، ولكن لا يمكننى أن أعدك بشىء ، فلا أمل هناك على الاطلاق . انك تعرف القـائد .

اوريوردن : أجل ، أعرفه ، ولكنى أرجو أن تسأله ؛ هـل تسمح بذلك ؟ ... عدنى .

كللى : أعدك بذلك ولكنه جهد ضـائع . بالله عليك لا تعلق أى أمل على هذا الرجاء .

اوريوردن : كلا ، لن أعلق الآمال على ذلك . لن أفعـل . سأذهب لأنام فانى لا أشعر بأنى فى صحة جيدة . سأراك غدا يا « سين » .

كللى : غدا يا ميكل . (يخرج أوريوردن) ان ميكل متأثر جدا لهذا الأمر .

سكانلون : متأثر بخصوص أى أمر أيها الرئيس ؟

كللى : ألا يمكنك فهم أى شىء لأول مرة ؟ بخصوص حكم الاعدام على كابتن تريجارثن .

سكانلون : وهل يعرفه ، أم ماذا ؟

كللى : لقد ظل ثلاثة أشهر أسيرا تحت حراسة ميكل .

سكانلون : يا الهى ! أهذا هو الشخص الذى يعيش هنا ؟ وهل سنسير بهذا الأمر الى نهايته اذن (يستدرك

فى عجلة) . أجل ، أجل بالطبع انه لحظ سيىء .
حظ سيىء .

كللى : هل نسيت « كيو » و « ميجل » و « أوشيا » ؟ وهل نسيت « كيڤن بيرن » ؟ ... كيڤن بيرن ! (يلتقى بما تبقى من ملاعق على الأرض . وقد تقلصت أطرافه من الحنق والغيظ) لست أدرى والله لِم كتب الموت عليه هو دون خلق الله أجمعين ؟ وهل قدّر على أن أبقى فى الحياة وحيدا بينما يموت آخر صديق لى ؟

سكانلون : (فى حياء) انى ما زلت بجانبك ، يا سيدى .

كللى : (متجاهلا اياه) لم يبق لى فى الحياة غير ميكل ، وهو أعمى أشلّ . سأوقف عليه الآن كل حبى ، وليس من شىء تحت الشمس لن أفعله من أجله. (يخاطب نفسه) ترى ما هى أغلى أمنية لك فى الحياة يا ميكل ؟ انى أعرفها وسأحققها لك ، أقسم بالله انى سأحققها لك حتى لو كلفنى ذلك فقد حبك الى الأبد . (فترة صمت) ولكن يجب أن أجنب ميكل عناء حضور تنفيذ حكم الاعدام مهما كان الثمن .

سكاناون : أجل ، يا سيدى . أهو مغرم بهذا الرجل الانجليزى الى هذه الدرجة ؟

كللى : (متجاهلا سؤاله) لقد قلت له ان وقت التنفيذ قد تقرر أن يكون صباح السبت ، لذلك سيتوقع ميكل أن يكون تنفيذ الحكم فى هذا الميعاد . ولكننى سأقدم موعد تنفيذ الحكم . سأجعله غدا . أجل ، سأجعله فى الغد . سأعود مبكرا قبل أن يستيقظ ميكل . ان حجرة تريجارثن فى الجانب الآخر من القصر ، ولن يدرى ميكل بشىء الا بعد تنفيذ حكم الاعدام . أجل ، هذا ما يجب أن يكون .

سكاناون : سيكون هذا قاسيا على الرجل الانجليزى بكل تأكيد . لعله يرغب فى رؤية الكاهن قبل الأعدام ؟

كللى : سنعطى الفرصة لكتابة رسائله الأخيرة ولعمل كل ما يريد ، ولكن لن يسمح له برؤية ميكل ، وبهذا سنوفر على ميكل عناء ما لابد أن يحدث . سوف يعلم فقط عندما يكون كل شىء قد انتهى.

سكاناون : فى هذا قسوة على الرجل الانجليزى .

كللى : (ببرود) ان ميكل وحده هو الذى يهمنا . ان

سلطة أعلى من سلطتنا هى التى قضت باعدام تريجارثن (يخاطب نفسه) وأسباب أخرى ... أسباب أخرى .

سكانلون : أسباب أخرى يا سيدى ؟

كللى : (يدقق النظر فيه للمرة الأولى) هل أنت الرجل الوحيد الذى بقى معى ؟ هذه هى الوحدة بعينها .

سكانلون : ما هذا يا سيدى ؟

كللى : لا أهمية لذلك . سأرجع غدا مبكرا . هل هذا مفهوم ؟ سأحضر معى فرقة الرماة . لا حاجة بك الى أن تخبر أحدا من هنا بذلك . سوف نوقظ كابتن تريجارثن من نومه عندما أعود ، وسنخبره بالتغيير الذى طرأ على الخطة ، أما الآن فيجب على أن أذهب الى مقر القيادة .

سكانلون : متى أتوقع مجيئك يا سيدى ؟

كللى : فى أى وقت قبل السادسة صباحا . عين حرسا على الأسيرين الاثنين من جنود التاج .

سكانلون : سأنفذ ذلك يا سيدى ، وسأستيقظ مبكرا لأستقبلك غدا .

(ينتظر سكاندلون لحظة متلهفا على أمل سماع كلمة مدح • يمطر اليه كللى بعينين حامدتين كالحجر ... يخرج سكاندلون • ينتظر كللى ويطيل النظر فترة طويلة الى حيث ذهب أوريوردن ... يدخل شاموس • لايرى كللى ولكنه يرى الملاعق المبعثرة)

شاموس : يا لله ، من ذا الذى أوقع بكل هذه النجوم من السماء ؟

تسدل الستار

الفصل الثالث

اليوم التالى ، حوالى الساعة الخامسة والنصف صـــباحا . المسرح مظلم .

(يدخل الحارس الأول من الخارج . يفتح الستائر . يدخل ضوء القمر الفوى ومعه ضوء الفجر الباهت . يدخل الحارس الثانى والنعاس فى عينيه)

الجندى الأول : أوه ، يا ديرموث ، هل استيقظت أخيرا ؟ ألا تعلم أنه قد مضت عشر دقائق الآن منذ أن بدأت فى ايقاظك ؟

الجندى الثانى : أود ، أهـذا كل ما فى الأمر ؟ وما قيمة هـذه الدقائق العشر اذا وزنت فى ميزان الأبدية ؟

الجندى الأول : اذا وزنت بميزان حارس الليل سنجـدها فترة طويلة جدا . ان سكانلون قد استيقظ ، وهو ينتظرك بجوار القنطرة ! اذهب اليه هناك ودعنى.

الجندى الثانى : اصمغ !

الجندى الأول : ما هذا ؟ انى لا أسمع شيئا .

الجندى الثانى : انه العصـفور الأول نفسه الذى استيقظ ...

سكانلون؟ ترى ماذا عساه يفعل هناك وهو يلوث نسيم الصبح النقى ؟ ألا يمكنه النوم أبدا ما دام معبوده كللى غائبا عنه ؟

الجندى الأول : فليذهب الى الجحيم . ان الشمس توشك أن تشرق ، ومعنى هذا اننى لن أتمكن من النوم . لِم لا يمكنك ، بحق السماء ، أن تستيقظ عندما أناديك ؟

الجندى الثانى : كسل ، أيها العزيز ، مجرد كسل . لا يمكن لانسان أن يتحلى بكل المواهب . والقفز من الفراش ليس صفة من صفاتى . اننى واديك آخر من نستيقظ دائما .

الجندى الأول : حسن . انى ذاهب الى فراشى ، فليس لدى ما أفعله هنا فى الخارج .

الجندى الثانى : ألم تلحظ أبدا ما عليه الديك من كسل ؟ فعندما ينجلى الليل تسمع أول عصفور يغرد والناس لا يزال يداعب جفونه ثم يتبعه آخر ثم آخر حتى يصحو الجميع ويغردون معا فرحا بانبلاج الصبح . وبعد كل ذلك ، يصحو الديك ويوقع الرعب فى قلوب العصافير كلها بصوت يشبه

طلقات الرصاص . وفى الفجر يُسْمَعُ صوت وابل من الرصاص تطلقه حنجرة كفوهة البندقية لطائر أحمر .

الجندى الأول : أفضل أن تأتى معى وتتحدث الى حتى يغلبنى النعاس . انى فى حاجة الى معونتك .

الجندى الثانى : لا يمكن لأحد أن ينام عندما أتحدث أنا . هذه موهبة أيها الرجل . انها موهبة .

الجندى الأول : حسن ، طابت ليلتك وأتمنى لك حراسة هادئة .

الجندى الثانى : صباح الخير . ستكون حراسة مصحوبة بالصخب والفوضاء ، بكل تأكيد ؛ ما دامت كل هذه العصافير ستصحو كما يصحو الديك آخر الأمر

(يخرج الحارس الأول - الحارس الثانى ... انه ديرموث فون ، صديق أوريوردن ، وأحد سكان الجزر الغربية ــ يظل فى النافذة لحظة طويلة ثم يستدير فى تكاسل مسمما . هل يمكنك اعارتى زوجتك لمدة ســـاعة وربع ، أوه ، بالليرة الصفراء ذات اللون البنى ... يظل يغنى وهو واضع يده على الباب)

أوريوردن : (يهمس من فوق السلم) ديرموث .

ديرموث : ميكل ! بالله عليك ، هل لم تستطع النوم ، أم مــاذا ؟

أوريوردن : ديرموث ، هل يوجد أحد غيرك بالقرب منك ؟

ديرموث : كلا ، لقد ذهب فيليم .

أوريوردن : هل يمكننى طلب معونتك ؟

ديرموث : يمكنك ذلك طبعا . ما عليك الا أن تأمر . لعلك تطلب منى المساعدة فى اخراج صديقك تريجارثن سالما من هنا . أليس كذلك ؟

أوريوردن : فليساعدنا الله . هل أصبحت أفكارى واضحة هكذا على قسمات وجهى ؟

ديرموث : واضحة لى أنا فقط أيها العزيز ، لقد كنت دهشا الى متى سيطول بك الوقت قبل أن تطلب منى ذلك . صه ! كف عن الكلام لحظة . كلا ... لقد ظننت فيليم عائدا رغم أن الله وحده هو الذى يعلم لماذا يعود فمن المؤكد أن النوم هو أحب شيء الى نفسه فى الوجود . ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟

أوريوردن : (مناديا بصوت خافت من فوق) جونى ! (ينزل جونى) هذا هو « ديرموث فون » -- انه سيساعدنا . ألم أقل لك انه سوف يساعدنا ؟

ديرموث : آه ، بالتأكيد ؛ لقد تبادلنا التحية معا قبل الآن

فى الخميلة وسنصبح أصدقاء قدماء منذ اليوم .

جونى : نعم ، وأشكرك .

ديرموث : لا داعى مطلقا للشكر فانه ليسعدنى أن أهزم « سين كللى » . لست أدرى لِم تحبه يا ميكل ؟ فان الرجل الذى لا يخطىء أبدا خطر داهم على أصدقائه جميعا .

اوريوردن : هل فى امكاننا أن نذهب الآن يادير موث ؟ ان انتظار هذه الليلة كاد يقضى علينا جميعا .

ديرموث : فى الامكان ذلك طبعا ، ولكن انتظر ، لقد قال لى فليم ان سكانلون ينتظر بجوار القنطرة .

اوريوردن : سكانلون ! ماذا عساه يفعل هناك بحق السماء ؟

ديرموث : (متهكما) ليتأكد ، على ما أظن ، انه سيكون هناك عند وصول كللى عصر اليوم .

جونى : ألا يوجد طريق آخر غير الذى بجوار القنطرة ؟

اوريوردن : كلا ، لا توجد أية طرق أخرى .

ديرموث : ولكن لا تخش شيئا ، فسأعمل على ابعاده . سآخذه صوب شجر الزان ، فان ذلك آمن لنا .

جونى : لن تتحرك من هنا حتى تفعل ذلك . اذ فى استطاعته أن يرى كل حركة من فوق القنطرة .

ديرموث : لا تبتئس الآن . سأخترع له قصة ألهيه بها وآخذه بعيدا ، وقد أسلم لى قياده كالثور .

أوريوردن : وكم من الوقت سيتطلب ذلك منك ؟ ان القطار سيصل فى مدى نصف ساعة .

ديرموث : ان عشر دقائق تكفى وسيصبح الطريق بعدها آمنا خاليا أمامكما . ان سكانلون ليس بالرجل الذى يقوى على مقاومة موهبنى فى الحديث . لتصحبك العناية الالهية ياتريجارثن حتى تصل سالما الى انجلترا .

جونى : لبكى الله معك أيضا . شكرا لك .

(يخرج ديرموث)

جونى : عشر دقائق !

أوريوردن : أوه ، القشة وظهر البعير ! ان الدقيقة هى مجرد قشة ، وقد كانت بالأمس خفيفة تحملها الريح كذبابة الصيف ، ولكنها الآن قد تضاعف وزنها مئات المرات بسبب الانتظار الممل الثقيل .

جونى : والجو بارد أيضا .

أوريوردن : ان فصل الصيف لم يحل بعد ، والخامسة والنصف فى الصباح ساعة شديدة البرودة . ان

من رحمة الله بنا أن يفرض علينا النوم فى هذه الساعة لننعم بالأحلام .

جونى : أجل ، انها لساعة تستنفذ الشجاعة من القلب ، ألم تلحظ أنت ذلك ؟ ففى خلال الحرب ، أذكر أنى كنت أقاسى فى هـذه السـاعة بالذات من المخاوف والرعب ما لم أقاسه طول اليـوم ... أو حتى فى منتصف الليل .

أوريوردن : بالتأكيد ، فلكل ساعة روحها الملازمة لهـا ، وليست هذه من الساعات المفرحة . (ثم يقول فى مرح ليرفع من روح جونى المعنوية) انى لأذكر ، انى قد اخترعت منـذ مدة نوعا جـديدا من الساعات ، ولم أكن اسمى كل سـاعة برقمها العادى ، بل أطلق عليها اسما خاصا ... فمثلا ساعة النحلة وساعة البجعة وساعة البومة . أما هذه الساعة ، كما أتذكر ، فقد أسميتها ساعة الشيطان .

جونى : حدثنى عن ساعتك هذه حتى يمر الوقت .

أوريوردن : لا توجد طريقة أخرى أفضل من هذه ! حسن انها لفكرة موفقة كل التوفيق . لعلك تعرف طبعا

أن على وجه الساعة دائرتين مرسومتين بالميناء ، الواحدة داخل الأخرى .

جونى : أجل ، أعرف ذلك .

أوريوردن : دائرة من الميناء السوداء فى الداخل لساعات الليل ، ودائرة أخرى فى الخارج من الميناء البيضاء لساعات النهار .

جونى : ولكن ساعات النهار تختلف باختلاف فصول السنة .

أوريوردن : بالله عليك يا جونى لا تعارضنى هكذا ! لقد قلت لك انه من المفروض ألا تكون هذه الساعة من الساعات المحببة الى النفس ... انها مجرد فكرة لساعة !

جونى : أوه ، لقد فهمت . ولم وضعت ساعات النهار على الدائرة الخارجية ؟

أوريوردن : حسن ، ولِم لا ؟ لقد كنت شابا حينئذ ، وكنت أنظر الى الأمور من جانبها المفرح . وعلى أية حال فبدلا من أن أحدد الساعات بالأرقام كما لو كان الزمن مسألة حسابية ثقيلة ، حددت كل ساعة بصورة صغيرة من الميناء الملونة ... كصورة بومة أو طاووس أو تنين أو رسم أى شىء أسمى

الساعة به . مفهوم ؟ ألا تبدو مثل هذه الساعة جميلة المنظر فوق رف المدفأة ؟

جونى : انها لتبدو كذلك فعلا . هيا ، استمر ، حدثنى عن الساعات لنملأ بها هذه الدقائق .

أوريوردن : لا أستطيع أن أتذكر كل شىء . لقد كان الظهر ساعة النمر لأنها ساعة قوية يغلب على الانسان فيها النعاس ، وتخطط الظلال السوداء الباردة نورها الأصفر الدافىء .

جونى : هذا جميل . أراهن على أن كل ساعاتك الأخرى لم تكن فى جمال هذه الساعة .

أوريوردن : كلا ، فان الساعة السابعة أو الثامنة مساء كانت ساعة البجعة على ما أذكر ، لأن البجعة أكثر ما تبدو كذلك فى المساء . ألا ترى هذا الرأى ؟

جونى : أجل ، وأكثر منه جدا ، فالنجوم المتلألئة فوقه والنجوم المتألقة تحته تجعل البجع يبدو وكأنه زورق أبيض هادىء .

أوريوردن : أو كملك يتربع على عرشه بين فلكين .

جونى : وهل كانت هذه الساعة ساعة الشيطان ؟

أوريوردن : أجل انها ساعة الشيطان . كم الساعة الآن ؟

جونى : لم تكد تمر خمس دقائق بعد .

أوريوردن : ان الشيطان يتحرك ببطء ، أين جناحاه ؟

جونى : أوه ، كم كنت أتمنى لو أن ساعة البجعة كانت غدا . كلا ، بل اليوم ، اذن لكان الوقت يمر بأسرع مما تطير البجعة . كم أتمنى أن أضع حدا لكل ذلك فالجو بارد جدا . ميكل ما هى الأغنية التى غنيتها مرة عن البجع فى الليل ؟ دندن لى هذه الأغنية بهدوء الآن . كم كانت أغنية جميلة !

أوريوردن : كيف ذلك ! سيبدو صوتى كنقيق الضفادع فى هذه الساعة . ان الشيطان ، كما تعلم ، لا يحب الغناء .

جونى : ليذهب الشيطان الى الجحيم . لقد بدأ الطير يغرد فلِم لا تغنى أنت ؟

أوريوردن : حسن ، حتى يمر الوقت . (يغنى) .

قالت لى حبيبتى الصغيرة : ان أمى لن تعترض عليك .

وان أبى رغم كل شىء لن يستهين بك .

وقالت لى مؤكدة بعد أن خطت بعيدا عنى

لن يطول بنا الوقت يا حبيبى حتى تتزوجى .

جونى : (محدثا نفسه) لن يطول بنا الوقت يا حبيبى !

أوريوردن : يا لله ، الدنيا برد ! انظر ، يا جونى ، فهناك باستمرار شاى على الموقد للحراس ، داخل هذا الباب الذى تراه . لنشرب فنجانا من الشاى ، اذهب واحضره فى سكون .

جونى : أجل ، فلنشرب الشاى .

(يخرج جونى ، يحرك ميكل ساعديه ليدفىء نفسه ثم يقف متصلبا يدخل فيليم بجوربه دون حذاء)

فيليم : أستحلفك بالله يا ميكل ، ألست فى صحة جيدة ؟

أوريوردن : فيليم ! أجل . أجل انى بخير حال . لم أتمكن من النوم فحسب . ارجع الى فراشك الآن .

فيليم : ألا أحضر لك فنجانا من الشاى ؟

أوريوردن : كلا ، كلا ، ان ديرموث يعد لى فنجانا الآن .

فيليم : يا لله . أليس هذا الرجل كسولا أحمق ؟ يستيقظ متأخرا ولا يكاد يصحو حتى يشرب الشاى ! يخيل اليك أن فراشه امرأة وأنه يكره أن يغادره. أمتأكد أنت الآن انه ليس من شىء يمكننى أن أفعله من أجلك ؟

أوريوردن : كلا ، كلا ، لا شيء . ربما خرجت للنزهة مع ديرموث . عد الى فراشك الآن . طابت ليلتك ، وليباركك الله .

فيليم : طابت ليلتك وليباركك الله يا ميكل .

(يخرج فيليم)

أوريوردن : (برقة) يا ألله !

جونى : (من الباب الآخر) لا تقلق . لقد انصرف .

أوريوردن : أجل ، وسوف لا يعود . انني وديرموث نتبادل الغناء طول ساعات النهار والليل ، فلن يبدو له ذلك غريبا .

جونى : (يضع فى يده فنجانا ساخنا من الشاى) هيا واشرب هذا فانه شراب عجيب .

أوريوردن : (يشرب) آه ، أجل .

جونى : هل تذكر أبريق الشاى العجيب الذى أعددته موللى صباح أمس ؟

أوريوردن : أجل . انه أول شاى شربناه فى العالم الذى خلق من جديد ... أليس كذلك ؟ ... لقد شربناه نخبا لبدء هذا العالم .

جونى : ان هذا الشاى جيد المذاق أيضا .

أوريوردن : أجل . كم الساعة الآن ؟

جونى : أمامنا سبع دقائق ونصف .

أوريوردن : يا لله ! متى ستنتهى اذن ؟

جونى : هل سيتمكن ديرموث من ابعاد سكانلون ؟

أوريوردن : سيتمكن من ذلك بكل تأكيد . انى لأثتمنه على حياتى وعلى ما هو أثمن من الحياة .

جونى : حسن ، دعنا نكمل الأغنية اذن . انها ستملأ فراغ هذه الدقائق الطويلة . لقد أصبحت حنجرتك أدفأ الآن .

أوريوردن : ان المقطع الثانى يتحدث عن البجعة فى البحيرة ، حيث يقول ... يغنى :

لقد خطت مبتعدة عنى وسارت الى السوق
وراقبتها وهى تتحرك هنا وهناك وقلبى اليها يتوق
ثم سارت الى البيت ولم يبق غير نجم فى السماء
كما تسير البجعة فوق سطح البحيرة ذات مساء
(فجأة) ترى ماذا كان ذلك ؟

جونى : انى لم أسمع شيئا .

أوريوردن : ان هذا الصوت يشبه نداء البومة ، وأحيانا ما يستخدمه ديرموث للانذار والتحذير .
اصغ !

جونى : لا شيء . ربما كان هذا صوت بومة حقيقية .

أوريوردن : أجل . ربما كان كذلك .

جونى : (مطلا من النافذة) انى لا أرى شيئا . (ينظر فى ساعته) بقيت دقيقة أخرى . أفضل أن نعطى دبرموت فرصة الدقائق العشر كلها .

أوريوردن : أجل . يجب أن نفعل ذلك .

جونى : غنى المقطع الأخير حتى يحين وقت الرحيل .

أوريوردن : (يغنى) :

فى الليلة الماضية عاد حبى الضائع حين جاءت حبيبتى فى لهفة لم أسمع وقع أقدامها حين دخلت بمنتهى الخفة . (يتوقف فجأة) آسف ، ظننت اننى أسمع الصوت للمرة الثانية . (يغنى) ثم وضعت يدها على وقالت لى مؤكدة :

لن يطول الوقت يا حبيبى حتى زفافنا فيتحقق أملى .

(ينهض فجأة ويتجه صوب الباب . يفتح الباب فى هدوء ويرى كللى وسكانلون واقفين هناك . يضع كللى يديه على كتفى أوريوردن الذى يطلق صرخة عالية)

كللى : بؤسفنى يا ميكل أن أجدك مستيقظا . لقد دخلت بخفة حتى لا أيقظك .

أوربوردن : لماذا عدت ثانية ؟ وماذا تفعل هنا ؟ لقد قلت انك ستعود عصر هذا اليوم ... جونى ... هل أصابنى الجنون ؟ بالله عليك خبرنى : هل كللى حقيقة هنا ؛ أم انى أصبت بالجنون ؟

كللى : أجل ؛ يا ميكل ؛ ان كللى هنا .

أوربوردن : ماذا تقصد برجوعك ثانية كالكابوس ولما يطلع الصباح بعد ؟ رحماك يا ربى ؛ لقد ضاع أملى بالتأكيد ... جونى ؛ لِم لا تتكلم ؛ هل أنت معى هنا أم لا ؟ كلا ؛ لا تجب . اللهم اجعل هذا حلما مزعجا ! وايقظنى ! اجعلنى استيقظ وأجد جونى قائما على الحراسة بجوار فراشى وأن الوقت قد حان لسفره !

كللى : انك متيقظ تماما يا ميكل ؛ وانى لآسف جدا لذلك ؛ فان لدى أخبارا سيئة بخصوص صديقك كنت أرجو أن أجدك نائما ، وأن أوفر عليك سماع هذا النبأ المحزن . لقد قدمت طلب العفو كما طلبت منى ، ولكنه للأسف رفض . (يتحدث بلهجة رسمية الى جونى) ان معى أمرا بتنفيذ حكم الاعدام ممهورا بامضاء السلطات العليا ،

وقد عهدوا الى بتنفيذه . أما الوقت المحدد فهو فجر يوم الجمعة الثالث من أبريل (فترة متجمدة من الصمت) .

جونى : الجمعة ؟ ولكن اليوم هو الجمعة ..

كللى : اليوم هو الجمعة ، والفجر منا قريب .

اوريوردن : سين ، لقد جننت بالتأكيد . لأى سبب تعذبنا ؟ لقد كنت هنا وسمعتك تقول : انه السبت والسبت غدا .

كللى : أعلم ذلك ، ولكن الأمر بتنفيذ الحكم ينص على يوم الجمعة ، واليوم هو الجمعة ، وهذا مما يؤسف له . ولكن يجب علينا أن ننفذ الحكم طبقا للأوامر الصادرة فى هذا الأمر .

اوريوردن : (بلا حول ولا قوة) ولكن ... أنا ..

كللى : (مخاطبا جونى) هلم الى الخارج معنا . هناك قس وراع يتبع الطائفة الانجيلية . هل تريد أن تقابل أحدا منهما ؟ (لا جواب) .
من منهما تريد أن تقابله ؟

جونى : أيهما ؟

كللى : الكاهن أم الراعى ؟ هل تريد أن تقابل أحدا منهما ؟

جونى : كلا ..

سكانلون : (برقة) قد ترغب فى ذلك بعد برهة .

كللى : وفى هذه الأثناء يمكنك أن تقضى باقى الوقت فى كتابة الرسائل الأخيرة التى قد ترغب فى كتابتها . وسنتولى نحن أمر ارسالها وتسليمها . اقترح عليك أن تعتكف فى حجرة أخرى . سكانلون ، تفضل بمرافقة كاتبتى تريجارثن واعمل على توفير كل ما يطلبه .

سكانلون : سأفعل ذلك ، يا سيدى . هل تتفضل بالذهاب معى ؟ أرجوك يا سيدى .

(يخرج سكانلون وجونى الذى بدا عليه الدهول)

أوربوردن : (بعد برهة) سين .

كللى : نعم .

أوربوردن : ألا يوجد أحد آخر غيرنا فى الحجرة ؟

كللى : لا يوجد أحد .

أوربوردن : أنت وأنا فقط ؟

كللى : أجل أنت وأنا .

أوربوردن : سين ، لست أدرى لماذا لعبت علينا هذه اللعبة المروعة ؟ الله سبحانه وحده هو الذى يعلم ، لماذا ؟ انها لقسوة مريرة أن تحطم كل أمل لنا كما فعلت .

كللى : فى حالتنا هذه ، يا ميكل . لم يكن هنـاك أى أمل ، وقد قلت لك ذلك .

أوريوردن : أوه . ولكن كان هنـاك أمل ! كان هنـاك ! ولا زال الأمل موجودا ! لن أفقد الأمل ، أبدا !

كللى : لا تعذب نفسك أكثر من هذا يا ميكل ، لقـد قاسيت بما فيه الكفاية .

أوريوردن : لقد قاسينا كلنا بما فيه الكفاية ، يا سين . كلنا . فلم نبحث عن المزيد من العناء ؛ ان فى مقدورك أنت أن تنقذنا . كلمة واحدة منك فيفلت جون من الموت ، كما يمكننى أنا آن أنجو من حـزن يفوق حزنى على فقد نور عينى ، وأنت نفسك يا سـين ، يمكنك أن تنجـو من النـدم على ما ستفعل . النـدم المرعب على كل ما ستفعل . وفى هـذه المـرة سـوف تشـعر بالنـدم ياسين ! قد تدعى أنه لم يسبق لك فى حياتك كلها أن شعرت به ، ولكنك الآن سوف تشعر به! ستشعر بالندم الآن حتى ولو لم تكن قد شعرت به أبدا من قبل !

كللى : ربما شعرت بالندم ، أخيرا . انه جزء من الثمن على ما أظن .

أوريوردن : ثمن ؟ ثمن أى شىء ، بالله عليك ؟

كللى : لا يمكننى أن أجيبك على ذلك الآن يا ميكل .

أوريوردن : سين ، انك لا تدرك مقدار القوة التى تكمن وراء كلمة واحدة منك . لقد كان من المتفق عليه أن يتزوج جونى بموللى ، هل عرفت ذلك ؟

كللى : لقد كنت أتوقعه .

أوريوردن : وكنت أنا أساعده الآن على الفرار ... هل علمت بذلك أيضا ؟

كللى : لقد توقعت ذلك أيضا .

أوريوردن : وأن موللى ، فى هذه اللحظة بالذات ، تركب قطار الصباح الذى سيصل الى هنا بعد ربع ساعة ، فى هذه اللحظة بعينها ياسين ، وهى تحمل أثقالا من الأمل والحب مما ينوء بحمله قلبها الصغير . وقد اتفقت أن تعطى الاشارة لجونى ، وهى صفارات ثلاث يطلقها القطار ، فيقفز جونى الى القطار عند المنحدر . وقد عمل الاثنان ترتيباتهما على أن يبحرا سويا فى أمان الى انجلترا . تلك هى الخطة التى أعدت ياسين . ولكن الآن ، لمجرد أنك فكرت صدفة فى الحضور الينا صباح اليوم بدلا من بعد الظهر ، فان كل الأجيال من أبناء وأحفاد وأحفاد أحفاد تحبس اليوم أنفاسها لتعلم ان كان سيقدر لها الوجود

والحياة أم لا . فهـل سيقدر لهـم أن يولدوا ويعيشوا ؟ كلمة منك - كلمة واحدة — تكتب لهم الحياة ، أو كلمة واحدة من الناحية الأخرى فلا يقدر لهم الوجود اطلاقا . هذه هى القدرة التى تكمن وراء كلمة واحدة منك . انها لتشبه قدرة الله عز وجل . فى امكانك أن تهب الحياة .
(كللى لا يجيب) . سين ! أين أنت ؟

كللى : هنـا .

أوريوردن : وكثيرون ينتظرون منك الاجابة بالاضافة الى جونى . ان موللى منتظرة ، ووالد جونى منتظر، وأنا منتظر . وأنى لأتوسل اليـك بدافع الحب الذى تكنه لى - وانى لأؤمن بأنه حب عظيم — أن تدير وجهك الناحية الأخـرى وأن تسـمح لجونى بالذهاب .

كللى : ليس من العدل أن تلقى باللوم كله على يا ميكل. ففى الحرب — وهذه حرب كما تعلم — من الذى يموت ؟ لا نعرف ذلك عادة — أنت وأنا طالما فعلنا هذا . - كنا نصوب بنادقنا ونسحب الزناد ، ولم نكن ندرى أى قلب سـتخترق طلقاتنا . فهذه مشيئة الله وارادته وحده . لقد صـدرت الينا الأوامر وعلينـا أن نطيعها ، أما

الظروف المؤثرة المحيطة بأولئك الذين سيقتلون فهى فى العادة غير ظاهرة أمامنا ، ووجه الاختلاف الوحيد الموجود الآن هو أن الظروف ظاهرة لنا ، وهذا لن يخلينا من أداء الواجب بل يزيد فى صعوبة علينا فقط .

أوريوردن : ولكن الحال هنا غير الحال . ففى الحرب اما أن تقتل أو تقتل ، والدم حار ، وكلنا أمل فى أن الله سوف يغفر لنا . أما الآن فالأعصاب هادئة ، وان نحن قتلنا فانا نقتل دون عاطفة ، ورحمة الله الواسعة يمكنها أن تخفف من حدة هذا الحقد ! « سين » ، انى أعلم أنك مخلوق صلب العادات وربما كان هذا ما جعل منك جنديا شجاعا فذا ، ولكن هذه العادات تتسلط عليك أكثر مما تتسلط على غيرك من الناس . وانى لأذكر أنك قلت ، بالأمس فقط ، أنه قد مضى عليك عشر سنوات لم تتناول فيها العشاء الربانى ، وأنه ليس فى امكانك أن تكسر هذه العادة .

لقد قضيت شبابك فى درع من العادات ، لم تحاول مرة واحدة أن تخلعه لتعصى أمرا تعتقد أنه غير عادل . ولكن المؤكد أن العادات يجب

أن تكسر فى بعض الأحيان ، والا قتلت تفكيرك وجعلت قلبك حجرا صلبا لا يلين .

هيا وخبرنى الآن وأجبنى بصدق ، أى نوم سيجافى عيونك ، وأى أذى سيحيق بك ان أنت سمحت لجونى بالهروب ؟ ولنفرض أنك عدت الينا متأخرا نصف ساعة أو أننا قد أعددنا خطة الهرب قبل ذلك بنصف ساعة — أما كنت تهز كتفيك دون اكتراث وتبتسم ؟ وكنت ترسل تقريرا الى هيئة القيادة تقول فيه أن العصفور قد طار من القفص .

ما الذى يمنعك الآن من اجابتى الى الشىء الوحيد الذى طلبته وسأطلبه منك ؟ أستحلفك بالله وبالمحبة ... هبنى حياة صديقى .

كللى : لو أن الأمر بهذه السهولة يا ميكل لما ترددت . ففى سبيلك يا ميكل أكسر أكثر من عادة ، بل لعلى أفعل ذلك الآن بالفعل . ولكنك مريض ، يا ميكل ، ولن يمكنك أن تعرف ما فيه خيرك كما أعرف أنا ذلك الآن .

أوريوردن : انى لا أريد ما فيه خيرى ! اذ من يدرى ذلك غير الله وحده ؟ فلا أنا ولا أنت بقادرين على أن نرى أبعد من هذه اللحظة التى نحن فيها ، وكلانا

هنا فى هذه الحجرة وجونى يكتب فوق ؛ ومولى فى القطار تقيس نبضات قلبها بصوت عجلات القطار الذى يسير بها الى الشمال ... الينا . انى لا أرى شيئا أبعد من هذا فقط . كما أعلم أن الدقائق القليلة القادمة قد تحطم أو على الأقل قد تشكل حياة أربعة من الآدميين . انك تتكلم، كما يتكلم الطبيب ، عن المرض ... أفضل شىء لى ! أفضل شىء لى أنا ! أنى بالتأكيد أقل الأربعة — الذين يتوقف مستقبلهم على كلمة منك — شأنا . ان مستقبلى مظلم ، ما فى ذلك شك ، وسيظل مظلما . فهل ستطفىء النور فى عيون الآخرين أيضا ؟

كللى : انك الشخص الوحيد الذى يهمنى من هؤلاء الأربعة ، يا ميكل ، وان الألم الذى تعانيه الآن انما تسببه أنت لنفسك . مثل هذا العذاب يا ميكل ، كما يقول الروائيون قد مارسه من قبلك أعضاء محاكم التفتيش ... وهو عذاب الأمل . فقد كانوا يفتحون أبواب السجن أمام المسجون فيخف هذا الى طرقات السجن فيسلكها آمنا ، ثم يمر بجانب الحراس ثم يخطو خارج باب السجن الرئيسى الى الحرية ، وهناك

يفاجئه ، على العتبة ، رئيس محكمة التفتيش ، وأنت أيضا يا ميكل يعذبك الأمل ، ولكنى لم أترك لك الأبواب مفتوحة ولا الطرقات دون حراسة ولا الأبواب الخارجية دون حارس ، لقد أوضحت لك من أول الأمر ما يجب أن يحدث ، عالما بأن ذلك سيكون أقل قسوة عليك ، ولكنك آثرت أن تعذب نفسك .

أوريوردن : ولكن ، « ياسين » ، هناك أشياء فيما تقول يعجزنى فهمها كلية . لقد صرحت ، منذ دقيقة أو اثنتين أنك على استعداد لأن تكسر أكثر من عادة من عاداتك من أجلى ، وفى اللحظة نفسها تقول انك لن تفعل ذلك . تكلم عما فيه خيرى أنا ، وما دخلى أنا فى الموضوع الا باعتبارى صديقا لهما وصديقا لك ، وان أنت صممت على تنفيذ ما تريد فسأفقدكم جميعا : جونى ومولللى — وأنت ياسين ، سأفقدك !

كللى : أعلم ذلك . (يتلوى من الألم) .

أوريوردن : ورغم هذا لا تنقذنى ... ألم تقل انك لا تفكر الا فى أنا وحدى ؟

كللى : ميكل ، قد تظن أنى قاسى القلب ، والواقع أنى كذلك الى حد ما . انى لا أقاسى كالآخرين من

الندم والحنين ، ولكنى أعلم ما أحب ومن أحب ، وأنا على حبى مقيم . لقد كنا دواما أصدقاء حميمين بصفة خاصة ، ومنذ أن فقدت أنت بصرك وعشت فى الظلام فان عينى هى التى ترى لك الطريق . وفى مقدور عينيى أن تريا الآن ما فيه الخير لك . وعليك أن تثق بى يا ميكل ، أردت أم لم ترد . لقد طالما أحببت الناس حبا ملك عليك عقلك وقلبك حتى لم تترك لنفسك من هذا الحب شيئا . لقد اعتدت دائما على عمل كل ما فيه خيرهم هم لا خير نفسك . ولكنى الآن وقد تسلمت زمام الأمر فانى سأعمل ولو هذه المرة على الأقل ما فيه خيرك لا خيرهم .

اوريوردن : انى لا أفهمك يا سين ، لا أفهمك ...

كلى : ان الحب يلبس أقنعه كثيرة يا ميكل . انظر حولك : فحب صديقك يلبس القناع التقليدى... قناع الغرام ، وحبك يلبس القناع الذى يمكننا أن نسميه قناع البذل والعطاء ، وقد يأتى اليوم التى تتمكن فيه - وأنت تنعم فى السعادة والنعيم — من أن ترى حقيقة ما يخفيه قناع الشيطان الذى يلبسه حبى أنا الآن .

اوريوردن : ولكن كيف يمكن أن أنعم بالسعادة ؟ انك

لا تدرى ما تفعل . لعلك تظن أن كل شخص آخر يشعر بمثل شعورك . ان حبى لا يلبس أى قناع . البذل العطاء ؟ ماذا تقصد ؟ انه ليس بالعطاء الشريف ولا بالاشارة الجريئة يمكنك أن تخفى القلب الكسير الذى يشبه قلبى . انك تتحدث كما لو كنت تعتقد أننى سأغدو رجلا سعيدا ان أنا تمكنت من الزواج بموللى ، فاذا كان ذلك هو ما تظنه يا سين فانى أقسم لك بالله - - وأرجوك أن تصدقنى — انك مخطىء ، ان سعادتى الآن مرتبطة بسعادة جونى وموللى ، سعادتهما معا . هل تدرك ذلك ؟ سعادتهما هما الاثنان ان سعادتى الوحيدة فى الحياة هى انعكاس لسعادتهما وهذا ما يجعلها جميلة .

كللى : لقد أدركت أنك يا ميكل تتكلم من الظلام الذى تعيش فيه ولكن النور يتجمع فى الخارج ... وسوف يطلع الفجر عما قريب .

أوريوردن : فى امكانك أن ترى فى الظلام أكثر وأوضح مما يمكنك أن ترى وقد أعمى النور عينيك . سين ، ان الوقت يمر وأنا ... أنا لا أدرى ماذا أقول . ساعدنى — يا الهى — فلم تعد الكلمات ، فى ظنى ، تؤدى المعانى التى كانت تؤديها . لقد قلت

لك ، انك ستهدم حياتى فوق رأسى كما تحطم الرياح العاصفة البرج الأسود ؛ هذه العاصفة التى كانت دوما ، وحتى هذه اللحظة رياحا مؤاتية هادئة لطيفة . ولكنك تجيبنى فى صراحة بأن ذلك لن يحدث . فكيف أستطيع أن أفهمك ذلك يا « سين » ؟ لا تغلق بابك دونى يا سين ! كيف يمكنك أن ترى الألم الذى يعذبنى ، وكيف يمكنك أن تطيق رؤيته ولا تنطق الكلمة التى تزيله وتمحوه !

كللى : انك تفكر فى اللحظة التى نحن فيها فقط ، ولكنى أفكر فى حياتك كلها . ان الحزن المشترك بينكما رباط قوى . فتقبل ما سوف يحدث ، يا ميكل ، ولا تدع الأمل يتدخل ، فان يستطيع الأمل أن يقدم لك أية مساعدة الا أن يعذبك . واذا كان هناك شيء واحد مؤكد الحدوث فى هذا اليوم فهو أن كابتن تريجارثن سوف يموت ومتى اقتنعت بهذه الحقيقة فسرعان ما يتوقف هذا الألم المتزايد الذى تحسه وسيتكفل الزمن بالباقى . انى أحاول أن ألطف من حدة آلامك بانتزاع كل أمل منك .

أوربوردن : (محطما) ولكنى أحبه ... أحبه ...

كللى : ها قد صـاح الديك . ان الوقت قد حان ...
ولامست أشعة الشمس قمم أشجار الزان .

أوريوردن : وكنت أعتقد طوال هذه السنين أنك صديقى !
ومَن هو الصديق بحق السماء ، اذا كان يرفض
أن يقول كلمة ينقذ بها شخصا من الموت ويقذنى
من هم دائم وحزن مقيم طوال حياتى : أليس
هذا شيئا يتحتم على أن أكرهك من أجله الى
الأبد ؟ أقسم بالله ، لو أن لى عينين أبصر بهما
لانتزعت قلبـك من بين جنبيك وانت على قيد
الحياة ! يالك من جبان ، كما تبين لى آخر الأمر
وأنت تتبجح وتتعـاظم على متسـول أعمى ،
متسول أعمى يصرخ طالبا الاحسان والرحمـة
ولكنه يعود الى بيته خالى الوفاض .

كللى : (واضعا مسدسه بلطف فى يد أوريوردن —
ثم يقول فى هدوء) ان رأسى فى نفس المستوى
الأفقى وعلى مرمى الهدف من المسدس ، وعندما
أموت ستصبح أنت الضابط الأول .

أوريوردن : (مرعوبا ولكن لم يستسلم للأغواء) لا أقدر ...
لا أستطيع ...

كللى : انك لست هادىء الأعصاب . هاك رأسى المسها
حتى لا تخطىء الهدف (ثم يأخذ المسدس بلطف)

ها أنت ترى ، يا ميكل ، أن البت فى أمر الحياة أو الموت ليس بالأمر السهل ، لهذا دعنى آخذ عنك عبء اتخاذ مثل هذا القرار .

(يدخل جونى وسكانلون)

أوريوردن : هل ...

جونى : (يعطيه خطابين) هذه ... سلمها ...

أوريوردن : أجل .

كللى : ألا يوجد لديك أى شىء آخر ترغب فى أن تقوله؟

جونى : أقوله لك ، كلا .

(فى خلال المشهد القادم يظل أوريوردن ممسكا بأوراق الخطابات البيضاء فوق قلبه)

سكانلون : هل أنت متأكد الآن من أنك لا تحب أن تقابل الكاهن ؟

جونى : لا تجزع من أجلى . لست قلقا عليك .

سكانلون : كلا ، يا سيدى (خجلا) .

كللى : (يعطى سكانلون قطعة مربعة من الورق الأبيض — يقول له بصوت خافت) ضع هذه فوق القلب .

(يضطرب سكانلون وهو يثبت الورقة البيضاء فوق قلب جونى . يضعها أوطأ قليلا من مكان القلب)

جونى : (بمنتهى الهدوء) إن قلبى أعلى من ذلك بكثير .

سكانلون : (وهو يضعها فى المكان المناسب) آسف يا سيدتى . انى آسف يا سيدتى .

أوريوردن : آوه ، جونى ، لقد حاولت . حاولت ..

جونى : أجل ، أعرف ذلك .

كللى : هل نمضى الآن ؟ انهم ينتظروننا على هذا الجانب من شجر الزان .

جونى : وداعا ، يا ميكل ، أشكر لك هذه السعادة العظيمة .

أوريوردن : (محطما) جونى ... جونى !

(يخرج سكانلون وجونى . يبقى كللى لحظة وهو ينظر الى أوريوردن ثم يخرج)

أوريوردن : (بعد ثوان) سين ! سين !

(عن بعد ، تسمع صفارات القطار الثلاث)

أوريوردن : آوه ، يا ألله ، يا مخلصى ، ما الذى يحدث الآن فى النور ؟

(من الخارج ، تسمع الأوامر الصادرة بالتصويب نحو الهدف واطلاق النار يتبعها وابل من الرصاص . يقف أوريوردن منهدلا وورق الخطابات الأبيض ما يزال على قلبه)

(عن بعد تسمع ثلاث صفارات أطول تشبه صراخ امرأة ، وأثناء الصفارة الثالثة والأخيرة

تسدل الستار ببطء)

ختـــام